جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مروياتُ آلِ الدرداءِ القِرائية

دراسةٌ لغويةٌ

الدكتور

أحمد عبد الموجود عطية سليمان معوض

مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

مروياتُ آلِ الدرداءِ القِرائية دراسةٌ لغويةٌ

يسلط هذا البحث الضوء على أنماط التلاوة القرآنية المختلفة في محاولة لإظهار تأثير هذا التنوع في تقديم المعنى المقصود من السياق القرآني ، حيث إن هذه الأنماط ، سواء كانت تنتقل بشكل متتابع أم لا ، يُنظر إليها على أنها أصح منهجيات الانتقال اللغوي.

إن أنماط التلاوة الفردية هي ، بلا شك ، من أهم مصادر اللغة العربية، لأنه على الرغم من عدم إثباتها من خلال التواصل ولا يمكن الاعتماد عليها في التلاوة ، فإن سلاسل انتقالها صحيحة وسليمة. بالإضافة إلى ذلك ، فهي تتوافق مع أحد جوانب اللهجات العربية المختلفة. هذا هو السبب في أنها لا تقل أهمية عن غيرها من الأساليب والبنى واللهجات المعمول بها في اللغة ، وإلا فإن المفسريين والقانونيين لم يستخدموها في إظهار الجوانب المختلفة للغة العربية وكذلك أحكام الشريعة ، بهدف إثراء معاني القرآن الكريم ، وكشف النقاب عن جوانبها المختلفة وكشف أسرارها.

عند دراسة هذا الموضوع بعناية ، حدد الباحث عددًا من صيغ التلاوة الفردية المنسوبة لعائلة الدرداء التي تعلوها رجل حكيم من هذه الأمة "أبو الدرداء" قبل أن يقرأه عبد الله بن عامر. القرآن. أيضا ، زوجته أم الدرداء الصغرى ، هذه المرأة المطلعة ، قرأت القرآن. قمت بتصنيفها وفقًا لمستويات اللغويات الحديثة ، معتمداً على منهجي الاستنتاج والتحليل. يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول. بالنسبة للمقدمة، تقدم نظرة عامة

حول عائلة الدرداء. تم إعداد الفصول الأربعة وفقًا لمستويات مختلفة من اللغويات الحديثة ، على النحو التالي: الفصل الأول: الدراسة الصوتية لروايات عائلة الدرداء ؛ الفصل الثاني: دراسة مورفولوجية الفصل الثالث: دراسة هيكلية والفصل الرابع: دراسة المعجمية.

وختمت البحث أخيرًا بأهم النتائج التي توصل إليها البحث والتوصيات، وكذلك المؤشرات المختلفة.

الكلمات المفتاحية :

مرويات ، آلِ الدرداءِ ، المرويات القِرائية ، دراسة لغوية ، القراءات ، درداء ، روايات القرآن .

الدكتور

أحمد عبد الموجود عطية سليمان معوض

مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر الشريف

Email :

Research Summary

This research highlights the Qura'nic various modes of recitation in an attempt to showcase the impact of this diversity in presenting the meaning intended from the Qur'anic context, since these modes, be they consecutively transmitted or not, are viewed as the most correct methodologies of linguistic transmission .

The odd modes of recitation are, undoubtedly, from the most important sources of the Arabic language, because even though they are not proven through tawatur and cannot be relied upon in recitation, their chains of transmission are correct and sound. In addition, they conform to one of the Arabic Language's various aspects and dialects. That is why they are as important as the other established styles, structures and dialects of the language, otherwise exegetes and jurists would not have utilized them in showing the different aspects of the Arabic language as well as the Shari rulings, with the aim of enriching the meanings of the Quran, unveiling its various aspects and uncovering its secrets .

Carefully examining this topic, the researcher identified a number of the odd modes of recitation attributed to the family of Al-Darda' topped by the wise man of this Ummah "Abu Al-Darda'" before him 'Abd Allah ibn 'Amer read the Quran. Also, his wife Umm Al-Darda' Al-Sughra, this knowledgeable woman, read the Quran to him. I classified them in accordance with the levels of modern linguistics, relying on the two approaches of deduction and analysis. The research is made up of an introduction and

four chapters. As for the introduction, it offers an overview about the family of Al-Darda'. The four chapters are thus prepared in line with the different level of modern linguistics, as follows: Chapter One: The Acoustic Study to the Narrations of the Family of Al-Darda'; Chapter Two: Morphological Study; Chapter Three: Structural Study; and Chapter Four: The Lexical Study .

I finally ended the research with a conclusion on the most important findings of the research and the recommendations, as well as various indices.

key words : Meroitic, Al-Dardaa, Meroitic, Linguistic Study, Readings, Darda, Quran Novels .

Dr.

Ahmed Abdel Mawgoud Attia Soliman Moawad

Instructor of language in the Faculty of Arabic Language in Cairo
Al - Azhar University
E-mail :

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه، واستن بسنته أما بعد

فإن تراث كل أمة يمثل هويتها وشخصيتها، ويحمل مجد أسلافها، ويكون مِعبَرَها إلى مستقبلها، وإن حفظ التراث وتجليته وصيانته والعمل على نشره، وتدارس أحواله، والمداخل إلى فهمه حري بأن يكون هدف كل باحث وقصد كل دارس ؛ وإن أعظم شيء في التراث هو الوِعاء الذي حمَله إلينا بلغتنا الخالدة الممتدة البسيطةِ التي قال عنها الشافعي–رحمه الله– في الرسالة: "ولسانُ العرب أوسعُ الألسنة مذهبا، وأكثرُها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع ألفاظه إنسانٌ غيرُ نبي".

وإن أشرفَ شيء وأعلاه وأنفسَه وأغلاه في لغتنا المجيدة كلامُ الله، وإن أدقَّ شيء وألطفَه هي القراءات والمرويات القرآنية التي تمثل بابا ثريا من أبواب الدرس اللغوي بيد أن الشاذ منها لم يحْظ بسهم وافر في البحث والدرس(١).

وشواذ القراءات حجة في علوم العربية، ولا تقل شأنا عن أوثق ما نُقل إلينا من أساليب اللغة وتراكيبها وطرائق نطقها، ولم لا ؟! والشاذ" نازع

(١) والشذوذ في القراءات إنما هو شذوذ عن القواعد الموضوعة بغير استقصاء كاف لأوضاع العربية وأحوالها، وليس شذوذا عن سنن العربية وطبيعتها، ولا خروجا بالكلية عن أقيسة اللغة العربية أو اختلاف لهجاتها مما يؤكد أننا بصدد النظر في مادة لغوية موثقة صالحة للوصف والتحليل والتفسير على المستويات التي حددناها لدراسة هذه القراءات.قراة يحيى بن وثّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي د.أحمد طه سلطان–يرحمه الله– ط.مكتبة وهبة–٢٠٠٤ – الأولى ص٥ بتصرف

بالثقة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أمامه وورائه، ولعله، أو كثيرا منه، مساو في الفصاحة للمجتمع عليه. نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنُف بغيره فصاحته، وتمطوه قوى أسبابه، وترسو به قَدَمُ إعرابه...ضارب في صحة الرواية بجِرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه... والرواية تَنْميه إلى رسول الله، والله يقول:"وما آتاكم الرسول فخذوه" وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأخذه: هو الأخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه."(١)

ومرويات الصحابة من أوثق ما نُقل إلينا من أساليب اللغة وطرائق نطقها، وهي وإن لم يثبت بعضها في رسم المصحف أو لا يعد قرآنا فقد وافقت وجوهَ العربية ولهجاتِها، وصحّت روايتها واتصل سندها بالرسول؛ لاعتمادها على التلقي والعرض، وهما يكفلان دقة النقل وصدقه؛ مما يَلزم الباحثين بيانُه وكشفُ جوانبه تذوقا لطعومِ أساليبه وتجليةً لغوامضه واستثارة لما خفي من أسراره.

لذا اتجهتْ همة هذا البحث إلى دراسة مروياتِ آل الدرداء في ضوء مستويات علم اللغة صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا في ظلال طبيعة العلاقة بين المعاني وأصوات اللفظ أو قالبه الصرفي أو التركيبي، وذلك تحت عنوان:(مروياتُ آل الدرداء القِرائية دراسة لغوية)؛ هذا، وقد انتهج البحث المنهج الاستقرائيَّ التحليلي لمرويات آل الدرداء المبثوثة في كتب التفاسير والقراءات القرآنية، محللا كل رواية –في ضوء ما أدلى به السلف من

(١) المحتسب لابن جني ط. المجلس الأعلى تحقيق علي النجدي، عبد الفتاح شلبي ١٩٩٤م ١/٣٣،٣٢

علماء الاحتجاج للقراءات والمفسرين- عرضا وتوثيقا وتوجيها ثم تحليلا ومناقشة، فخرج البحث في محاورَ أربعةٍ علاوة على التمهيد والخاتمة:

أما التمهيد فقد احتوى التعريف بآل الدرداء ممثَّلَيْن في أبي الدرداء عويمر بن زيد بن عبد الله الأنصاري الخزرجي حكيمِ الأمة وأحدِ الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي (صل الله عليه وسلم)، وأولِ من سن الحِلَق للقراءة في جامع دمشق، وزوجتِه أم الدرداء الصغرى التي أخذت القراءة عن زوجها، مع الإشارة إلى زوجه: أم الدرداء الكبرى.

وأما المحورُ الأول: فقد تناولتُ فيه الدراسة الصوتية لمرويات آل الدرداء ووقفتُ فيه عندَ ما روي من الصامت الحلقي محركا مثل: مأكول في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥ ﴾

والمحورُ الثاني: الدراسةُ الصرفية لمرويات آل الدرداء وفيه مبحثان: الأول: في صيغ الأسماء وتناولت فيه ما روي على صيغة المبالغة مثل ملِك في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ، وما روي معرفا كرواية: للنبي في قول الله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ...۝٦٧ ﴾ ، وما روي منسوبا كرواية الفلكي في قول الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ... ۝٢٢ ﴾، وما روي على صيغة المصدر كرواية: (الإيصال) في قول الله: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ...۝٢٠٥ ﴾ وما روي مجموعا كرواية(قرات أعين) في موضعي الفرقان والسجدة.

والمبحثُ الثاني في صيغ الأفعال: تناولت فيه ما روي على صيغة فَعَلَ كرواية يخرُج في قول الله: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ...﴿١﴾ ﴾ ، ورواية أَخفيها في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ...﴿١٥﴾ ﴾ ، ورواية جَنّهُ المأوى في قول الله: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾، كما تناولت في هذا المبحث أيضا ما روي على صيغة فعّل كرواية قُتّلوا في قول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴿١٦٨﴾ ﴾ ، ورواية يوَصِّي في قول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ ... فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾، ورواية كذّب في قول الله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ ، وتناولت ثالثا ما روي على صيغة تفعّل كرواية تتذكرون في مطلع سورة الأعراف﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ...ۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ، وأخيرا تناولت في هذا المبحث ما روي مبنيا للمفعول كرواية(نُتّخَذ) في قول الله: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ... ﴿١٨﴾ ﴾

المحورُ الثالث:الدراسة التركيبية لمرويات آل الدرداء وذلك في مباحثَ ثلاثة:أولها ما روي فيه زيادة مثل: وبالزبر وبالكتاب في قول الله:﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ ، وثانيها: ما رُوي منصوبا مثل سورةً في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾ ، وثالثها: ما روي مُرخّما مثل: يا مال في قوله سبحانه: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ

قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ ، ورابعها: ما رُويَ فيه حذفٌ كرواية: والذكر والأنثى في قول الله:﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾

المحور الرابع: الدراسة المعجمية لمرويات آل الدرداء كرواية: يتذكرون في قول الله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، ورواية: طعام الفاجر في قول الله: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴿ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾

وأخيرا شفعت بحثي بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي تكشفت لي خلال مسار البحث، وكذا التوصيات التي توصي بها الدراسة، علاوة على فهارس متنوعة.

ولله الحمد أولا وآخرا وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

التمهيد

سيرة آل الدرداء وجهودهم القِرائية

أولا: أبو الدرداء

نسبه: عُوَيْمِرُ بنُ زَيْدِ بنِ قَيْسٍ بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عُدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأَنْصَارِيُّ.(١)

وَيُقَالُ: هو عُوَيْمِرُ بنُ عَامِرٍ بن زيد الأنصاري(٢) ، وقيل غير ذلك(٣)، وعلى كل فهو مشهور بكنيته.

إسلامه: كان قبل البعثة تاجرا فى المدينة، ولما ظهر الإسلام تأخر إسلامه قليلا، فكان آخر الأنصار إسلاما، ولما أسلم حسن إسلامه، وحاول مزاولة التجارة والعبادة فلم يجتمعا فلزم العبادة وترك التجارة، حتى اشتهر

---

(١) وأمه مُحبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب. كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد تحقيق د.علي محمد عمر نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ٢٠٠١م ٣٩٥/٩

(٢) مشاهير علماء الأمصار لابن حَبّان البُستي، وضع حواشيه وعلق عليه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى ١٩٩٥م ص٦٤

(٣) راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق: علي محمد البجاوي ط.دار الجيل بيروت، الأولى ١٩٩٢م ١٢٢٧/١ ، وكذا راجع: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير دون طبعة ودون تاريخ ١٨/٤ ،٩٧/٥، سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي تحقيق: شعيب الأرنؤوط ط. مؤسسة الرسالة، الثانية ١٩٨٢م ٣٣٥/٢–٣٣٧ فقد ذكروا في اسم أبي الدرداء ونسبه واسم أبيه وأمه أقوالا عديدة.

بالشجاعة والنسك ، وآخى رسولُ الله بينه وبين سلمان الفارسي، لم يشهد بدرا وشهِد ما بعد أحد من المشاهد، واختُلف في شهوده أُحُدا(١).

منزلته عند رسول الله: كان أبو الدرداء من عِلية أصحابِ رسول الله، وقد حدَّث عن رسول الله أحاديث كثيرة ، وشهد معه مشاهد كثيرة، فشَهِدَ أُحُدًا، وكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمَئِذٍ حَسَنَ البَلاَءِ، فردّ مَن على الجبل وحده، فقال رسول الله: (نِعْمَ الفَارِسُ عُوَيْمِرٌ)، ورُوي عن النبي (صل الله عليه وسلم) أنه قال: (حَكِيْمُ أُمَّتِي: أبو الدرداء عُوَيْمِرٌ).(٢)

خروجه إلى دمشق وتوليه قضاءها: أبو الدرداء أول من نزل دمشق من أصحاب رسول الله، حيث احتاج أهل الشام في زمن عمر إلى من يعلمهم القرآن ويفقهم فدعا عمرُ جماعةً منهم أبو الدرداء؛ لأنه كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم، فخرج إلى دمشق، ثم ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان، وهو أول قاض وُلّيها(٣).

أبو الدرداء والقرآن والإقراء: كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم، ومعدود فيمن تلا على النبي (صل الله عليه وسلم)، ولم يُروَ أبدا أنه قرأ على غيره، وهو أحد الأربعة أو الستة الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي (صل الله عليه وسلم) بلا خلاف فيما رواه أنس، وعليهم دارت الأسانيد بالقراءات العشر، وأخذَ عنهم مَن بعدهم عرضا، فقد روى عن أبي

(١) ينظر: الطبقات ٣٥٩،٣٦٠/٩، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ٢٠٩/١ ، الاستيعاب١٢٢٧،١٢٢٨/١، أسد الغابة ١٩/٤، ٩٧/٥،سير أعلام النبلاء ٣٣٧/٢–٣٣٨، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني تحقيق الشيخ:عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، الأولى ١٩٩٥م ٦٢٢/٤، الأعلام تأليف:خير الدين الزركلي ط.دار العلم للملايين بيروت–لبنان، الخامسة عشرة مايو٢٠٠٢م ٩٨/٥

(٢) الطبقات ٣٩٦/٩، الاستيعاب١٢٢٩/١، سير أعلام النبلاء٣٣٨،٣٣٩/٢، الإصابة ٦٢١،٦٢٢/٤

(٣) راجع:الاستيعاب ١٢٢٨/١ وما بعدها، أسد الغابة٩٨/٢٠،٥/٤، سير أعلام النبلاء٣٤٤/٢، غاية النهاية في طبقات القراء ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، الأولى ٢٠٠٦م ٥٣٥/١، الإصابة٦٢٢/٤

الدرداء القراءةَ كبارَ الصحابة والتابعين منهم: أنس بن مالك، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيِّب، وابنه بلال وغيرهم.

عرض على أبي الدرداء القرآنَ عبدُ الله بن عامر اليحصُبي فيما قطع به الداني، وزوجه أم الدرداء الصغرى.

سَنَّ-يرحمه الله- في جامع دمشق الحِلَقَ لِلقِرَاءةِ بعد صلاة الغداة، وتصدى لإقراء الأمة وتصدرَه، حتى صار سيدَ القراء؛ حيث كان في الجامع يجعلُ القرأة عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفا، ويقف في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك، فعَنْ مُسْلِمِ بنِ مِشْكَمٍ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ:اعْدُدْ مَنْ فِي مَجْلِسِنَا، قَالَ: فَجَاؤُوا أَلْفًا وَسِتَّ مائَةٍ وَنَيِّفًا، فَكَانُوا يَقْرَؤُوْنَ، وَيَتَسَابَقُوْنَ عَشْرَةً عَشْرَةً، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ انْفَتَلَ، وَقَرَأَ جُزْءًا، فَيُحْدِقُونَ بِهِ، يَسْمَعُوْنَ أَلْفَاظَهُ، وَكَانَ ابْنُ عَامِرٍ مُقَدَّمًا فِيْهِم، حيث كان عريفا على عشرة، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر.(١)

وفاته: الأكثر والأشهر والأصح أنه توفي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِيْنَ قَبْلَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقبره بباب الصغير في دمشق، وقيل سنة إحدى وثلاثين، ، وقيل: إنه مات بعد صِفّين سنة ثمان أو تسع وثلاثين.(٢)

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء ٣٣٥/٢-٣٥٣، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين الذهبي تحقيق د. طيار آلتي قولاج، استانبول ١٩٩٥م ١٢٥،١٢٤/١ ، غاية النهاية ٥٣٥/١، الأعلام ٩٨/٥ وقد ذكر الذهبيُّ في معرفة القراء عدم صحة قراءة ابن عامر على أبي الدرداء؛ لأن ابن عامر لم يدرك أبا الدرداء، ثم عقّب فقال: إلا أن يكون قرأ عليه سورة أو سورتين، وذلك بعيد. قلتُ: يمكن أن يكون قرأ عليه سورة أو سورتين وليس ببعيد؛ فابن عامر ولد ٢١هـ، وأبو الدرداء توفي ٣٢هـ، وكان ابن عامر يبلغ آنئذ ١١ عاما فيحتمل قراؤته عليه.

(٢) الطبقات ٣٩٧/٩، تاريخ أبي زُرعة الدمشقي للإمام الحافظ عبد الرحمن النصري، وضع حواشيه: خليل المنصور ط.دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الأولى ١٩٩٦م ص٣٦٣، مشاهير علماء الأمصار ص٦٤، الاستيعاب ١٢٣٠،١٢٢٩/١، أسد الغابة ١٩/٤، السير ٣٥٣/٢، العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ط.دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ٢٤/١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد تحقيق: محمود الأرناؤوط ط.دار ابن كثير دمشق-بيروت، الأولى ١٩٨٦م ١٩٦/١

ثانيا: أم الدرداء الكبرى

خَيْرة أوله خاء معجمة مفتوحة وبعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها وراء مفتوحة فهي خيرة بنت أبي حَدْرَد أم الدرداء الكبرى الأسلمية زوج أبي الدرداء، لها صحبة ورواية عن رسول الله، روت عن أبي الدرداء، وتوفيت في حياته، وخيرة هي أم الحسن البصري وإخوته، روت عن أم سلمة، وروى عنها ابنها.(١)

ثالثا: أم الدرداء الصغرى

هي هُجَيمة، وقيل: جُهيمة بنت حُيَيّ الأوصابية الحِمْيرية الدِّمشقية كان لها نصيب وافر من العلم والعمل، قرأت على زوجها أبي الدرداء، وأخذت القراءة عنه، وروت علما جَمّا عن زوجها وعن أبي هريرة وعن عائشة، وكانت تجلس في حلق القراء تُعلم القرآن، فعرض عليها عطية بن قيس الكلابي، وأخذ القراءة عنها إبراهيم بن عَبْلة ويونس بن هبيرة وغيرهما، خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء فأبت أن تتزوجه، تابعية محدثة فقيهة مفسرة زاهدة ماتت بعد الثمانين.(٢)

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف لابن مأكولا، دار الكتاب الإسلامي ٣٠/٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق: محب الدين عمر العَمروي ط.دار الفكر، الأولى ١٩٩٨م ١١٤/٦٩، السير٣٣٦/٢، الإصابة ٦٢٢/٤

(٢) راجع: الإكمال ٣٠/٢، تاريخ مدينة دمشق ٧٠/ ١٤٦-١٦٤، سير النبلاء ٢٧٧/٤-٢٧٩، العبر ٦٩/١، غاية النهاية٣٠٨/٢، شذرات الذهب٣٣٣/١، المروي عن النساء من القراءات القرآنية د/عبد العزيز ياسين عبد الله ، مجلة آداب الرافدين، العدد(٥٩)ص١٨

المحور الأول: الدراسة الصوتية لمرويات آل الدرداء

ما روي من الصامت الحلقي محركا

✍- الشاهد القِرائي:

(مأْكول) في قول الله:﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾[1] حيث رواها أبو الدرداء (مَأَكول) بفتح الهمزة.

✍- توثيق القراءة:

قال ابن خالويه: "كعصف مأَكول بفتح الهمزة: أبو الدرداء."[2]

✍- التوجيه:

نصّ أبو الفتح على أن "مذهب أصحابه في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه، كالزّهْرة والزهَرَة، والنهْر والنهَر، والشّعْر والشَّعَر فهذه لغات عندهم كالنشْز والنشَز، والحلْب والحلَب، والطرْد والطرَد.

ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفًا حلقيًّا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه؛ كالبحْر والبحَر والصخْر والصخَر.

---

(١) الفيل/٥

(٢) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ط. مكتبة المتنبي-القاهرة لابن خالويه ص١٨٠، ونقله عنه العكبري في إعراب القراءات الشواذ ط.عالم الكتب، الأولى ١٩٩٦م ٧٤٥/٢، وأبو حيان في البحر المحيط تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ط.دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الأولى ١٩٩٣م ٥١٢/٨، والألوسي في روح المعاني ط.دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان٢٣٧/٣٠، وغيرهم. ينظر معجم القراءات د.عبد اللطيف الخطيب ط.دار سعد الدين - دمشق، الأولى ٢٠٠٢م ٥٩٠/١٠

وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق فيه إلا في أيديهم؛ وذلك أنني سمعت عامة عُقَيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره، حتى لسمعت الشَّجرِي يقول: أنا محَموم بفتح الحاء وليس أحد يدعي أن في الكلام مفَعول بفتح الفاء"(١).

وذكر العكبري في توجيه فتح الهمزة أنهم "شبهوه بالهمزة إذا وقعت عينا، وهي لغة في كل ما عينه حرف حلقي"(٢).

ووجه ابن عطية وأبو حيان والألوسي فتح الهمزة بأنه إتباع لحركة الميم تخفيفا كما اتبعوه في قولهم: مَحَموم بفتح الحاء لحركة الميم، أو أن تكون لغة(٣).

---

(١) ينظر: المحتسب ٨٤/١ وقال ابن جني في موضع آخر في المحتسب-الذي ألفه في أواخر حياته- موجها قراءة ابن السَّمَيْفَع مرجحا رأي الكوفيين والبغداديين في مسألة قياسية فتح حرف الحلق الساكن:" قَرَح بفتح القاف والراء: ظاهر هذا الأمر أن يكون فيه لغتان...ثم لا أُبعِدُ من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفا حلقيا يُفتح ما قبلها كما تُفْتَحُ نفسُها فيما كان ساكنا من حروف الحلق، نحو قولهم في الصّخْر: الصّخَر، والنعْل: النعَل ولعمري إن هذا عند أصحابنا ليس أمرا راجعا إلى حرف الحلق، لكنها لغات، وأنا أرى في هذا رأي البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا، فلقد رأيت كثيرا من عُقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم: نحَوه-بفتح الحاء-، يريد: نحْوه-بتسكينها-. وهذا ما لا توقف في أنه أمر راجع إلى حرف الحلق؛ لأن الكلمة بُنيت عليه ألبتة" ١٦٦/١-١٦٧ وقارن ذلك برأيه القديم في خصائصه ط.المكتبة العلمية، تحقيق/محمد علي النجار ٩/٢ وفي المنصف، تحقيق أ.إبراهيم مصطفى،أ.عبد الله أمين الأولى ١٩٥٤م ٣٠٥،٣٠٦/٢ الذي رجح فيه رأي مدرسة البصرة من أن "فتح حرف الحلق لهجة عربية يُقتصر فيه على ما سُمع عن العرب، وليس قياسا" كما عرض ابن جني في خصائصه أيضا في باب الساكن والمتحرك٣٢٨/٢ تأثر الحركات ببعضها، وقسمها إلى لازمة وغير لازمة، وجعل من غير اللازمة حركات الإتباع٣٣٣/٢ مشيرا إلى أشكال المماثلة بين الصوائت.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ٧٤٥/٢

(٣) وحكم أبو حيان على قراءة الفتح بالشذوذ. ينظر: البحر ٥١٢/٨، ونقله الألوسي عن ابن خالويه موجها إياه على الإتباع لحركة الميم أيضا، كما احتج الألوسي في موضع آخر لقراءة يحيى بن وثّاب:(النّحَل) النحل/٦٨ بفتحتين موجِّها إياها أن تكون لغة أو أن تكون إتباعا لحركة النون. روح المعاني ١٨٢/١٤، ٢٣٧/٣٠، أما ابن عطية فقد وجّه قراءة الحسن بن أبي الحسن فتح عين (البعَث) الحج/٨ على أنه لغة في البعْث عند البصريين، وعلى أنه تخفيف(البعْث)عند الكوفيين. راجع المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد ط.دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الأولى ٢٠٠١م ١٣٠/٤

✍- التحليل والمناقشة:

من توجيهات علمائنا القدامى يُستخلص أن فتح الهمزة هنا لغة بني عقيل بغرض التخفيف، لكن آراء العلماء تنوعت في بيان مسوّغ هذا الفتح، وفي قياسيته أو سماعه، وحاصل القول في ذلك ما يلي:

الأول: أن مسوّغ فتح الهمزة يرجع إلى أمر من اثنين:

أ- موقع ميزان الحرف(عين الكلمة)، ومخرجه (الحلق)، فشُبّهت الهمزة التي وقعت فاءَ(مـــفـــعول) في هذه القراءة(مأكول) بها نفسها إذا وقعت عينا(١).

ب- مخرج حرف الهمز الساكن(الحلق)، مع إتباعه حرفا مفتوحا (الميم).

الثاني: أن الفتح لغة يقاس عليها في كل حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح وهو مذهب الكوفيين والبغداديين، أو أنه لغة يقتصر فيها على ما سمع عن العرب، وما لم يُسمع لم يَجز فيه التحريك وهو مذهب البصريين(٢).

---

(١) ونظيرُ ذلك التشبيه في موقع ميزان الحرف- إذا كان أحدَ حروف الحلق- ما نقله العكبري عن ابن جني من أنه" فُرض لبعض العرب-وكان بباب سيف الدولة- من الطعام مقدار فقال: هذا لا يَغَدوني بفتح الغين" راجع: العكبري ص ٧٤٦، ولم أتمكن من الوصول إلى المصدر الذي نقل عنه العكبري هذا الموقف، ولكني وجدت موقفا قريبا منه في المحتسب ٨٥/١، ١٦٧

(٢) حيث أجاز الكوفيون طَرَد الفتح، وأن كل ما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق، وكان مسكنا مفتوح الأول جاز فيه فتح المسكن نحو نعْل ونعَل...، وأما البصريون فيزعمون أن ما جاء من هذا فيه اللغتان تُكُلّم به على ما جاء، وما كان لم يُسمع لم يَجز فيه التحريك نحو وَعْد، لأنك لا تقول: لك عليَ وعَدٌ. معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ط.عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٩٨٨م ٤١١/٣، وينظر المحتسب ٨٤/١، إعراب القراءات الشواذ للعكبري٧٦٨/١ ، المحرر الوجيز ١٣٠/٤، اللهجات العربية نشأة وتطورا د.عبد الغفار هلال ط.وهبة، الثانية ١٩٩٣م ص٣١٠

وكما هو معلوم فإن إسكان الهمزة في قول الله: (فجعلهم كعصْف مأْكول) هو الأصل لأنه صيغة مفْعول من فعلَ، وهي أيضا قراءة الجمهور(١).

أما قراءة أبي الدرداء بفتح الهمزة فهي ظاهرة صوتية ولغة شائعة بين بعض العرب في كل ما عينه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح تخفيفا، والتفسير العلمي لهذه الظاهرة أن السكون أخف من الحركة لأنه انعدام الحركة(٢)، وحذف للصائت القصير، إلا أن تحريك الصوت الحلقي أخف من تسكينه، والفتح مع حروف الحلق أخف من السكون(٣)؛ لأن الهمزة حرف حلقي(٤) ساكن فناسبته حركة الفتحة تخفيفا؛ ومن ثم فلحرف الحلق

(١) البحر المحيط ٥١٢/٨، معجم القراءات ٥٩٠/١٠

(٢) للسكون جانبان من الناحية الصوتية أحدهما جانب النطق والتأثير السمعي، والثاني جانب الوظيفة التي يقوم بها في النظام الصوتي للغة العربية فهو من حيث الجانب الأول عدم أو لا شيء إذ إنه لا ينطق وليس له أي تأثير سمعي، ويعني هذا أنه ليس صوتا صامتا Consonant أو حركة Vowel على هذا المستوى الصوتي المادي، بل يمكن أن نحسب السكون أمر عدمي أو حركة صفرية؛ إذ إن السكون نطقا لا شيءphonetically nothing ، ينظر بتصرف يسير د/كمال بشر: دراسات في علم اللغة ط.دار غريب، القاهرة ١٩٩٨م ص١٧٥- ١٨٠،علم الأصوات ط.دار غريب- القاهرة ٢٠٠٠م ص٤٥٦،٤٥٧، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ط. مكتبة الخانجي، الأولى ١٩٨٧م د.عبد الصبور شاهين ص٣٧٦،٣٧٧، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية د.علي عبد الله القرني رسالة ماجستير مخطوط في كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى ٢٠٠٤م ص٦-٨

(٣) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ط.دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م ص١١٣،١١٤، القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية د.حمدي سلطان العدوي ، دار الصحابة للتراث بطنطا، الأولى٢٠٠٦م ٣٦٠/١

(٤) مخرج الهمزة من الحلق إنما هو مذهب جمهور القدماء من اللغويين والقراء، إلا أن الخليل صرح بمخرج الهمزة من أنه" ليس له حيز ينسب إليه إلا الجوف، وأنه لا يقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا الحلق، ولا اللهاة..." والجوف غير الحلق، وليس أسفل من الحلق من عضو تنطق منه أصوات لغوية إلا الحنجرة، وكأن الخليل قصد بالجوف(الحنجرة) وإن لم يصرح بذلك ملتقيا مع معطيات الدراسات الصوتية المعملية الحديثة التي تنص على أن مخرج الهمزة إنما هو الحنجرة. راجع: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د.عبد العزيز علام، الأولى ١٩٩٠ص٥٩، ٦٧-٦٩، ٣٠٦-٣٠٨، علم الصوتيات د.علام، د.عبد الله ربيع ط.مكتبة الرشد٢٠٠٩م ص٢٦٨، وينظر في مخرج الهمزة: اللهجات العربية د.الراجحي ص١٠٩،٩٥

أثر معْتَدّ معْتمَد –كما هو نص كلام ابن جني– في تحويل السكون إلى فتحة وهذا ما يؤيده علم اللغة الحديث من ميل الأصوات الحلقية إلى الفتحة؛ إذ إن "كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولذلك ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا، وتلك هي الفتحة"(١).

وتحريك صوت الحلق بالفتحة ظاهرة ساميّة قديمة؛ إذ إنه موجود وواضح كل الوضوح في أخوات العربية كاللغة العبرية.(٢)

وعلاوة على ما سبق فللهمزة –دون أصوات الحلق– حكم خاص في نطقها ؛ "إذ إن عملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية؛ لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة، فنسمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة(٣)، ومن ثم فالهمز من المستثقل الذي يقع عليه التخفيف(٤) وأثقل ما يكون الهمز إذا كان ساكنا(٥) فناسبها التخفيف عن طريق الفتح.

وقد ربط سيبويه صورة الفعل بظاهرة الميل إلى الانسجام بين الصوامت والحركات؛ فإذا سفل مخرج الصوت الصامت في الحلق ناسب أن

---

(١) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ط.الأنجلو–الثامنة ١٩٩٢م ص ١٧٠ .

(٢) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١١٢،١١١، اللهجات العربية نشأة وتطورا ص٣١٢

(٣) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص٧٧

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي تحقيق: بدر الدين قهوجي وغيره، دار المأمون للتراث–الأولى ١٩٨٧م ١٣٧،١٣٨/٣، قال ابن أبي مريم في الموضح في وجوه القراءات وعللها تحقيق د.عمر الكبيسي، الأولى ١٩٩٣م ١٨٥/١:"واعلم أن الهمزة لما كانت خارجة من أقصى الحلق، استحبت العرب تخفيفها استثقالا لإخراج ما هو كالتهوّع".

(٥) شرح الهداية للمهدوي تحقيق د. حازم حيدر، ط. مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـ ١/٥٤،٥٣

تكون حركته من أقرب المواضع إليه والفتحة بحكم كونها أوسع الحركات هي أنسب ما يسبق الصوت الحلقي أو يلحقه(١).

وشرحَ ابنُ زنجلة سبب ثقل الهمزة الساكنة فقال: وذلك أنه تخرج الهمزة الساكنة من الصدر، ولا تخرج إلا مع حبس النفس، والهمزة المتحركة تعينها حركتها، وتعين المتكلم بها على خروجها.(٢)

وحبس النفس مع نطق الهمزة ناشئ عن انطباق الطيتين الصوتيتين، فإذا كانت ساكنة طالت مدته، وهو ما يزيدها ثقلا.(٣)

وأما ما نص عليه علماؤنا القدماء من إشارة إلى ظاهرة الإتباع أي إتباع الهمزة الساكنة الميم في فتحتها هكذا: (مَـــــأكول) فهي ظاهرة صوتية اكتسبتها الهمزة بسبب الجوار أو السياق الصوتي، وهذا الإتباع نوع من المماثلة في المصوتات(٤)، وهو إتباع حركة لحركة، أو: التوافق الحركي Vowel Harmony ؛ لأنه تغيير الحركة بحيث تماثل حركة الحرف الذي قبلها، أو حركة الحرف الذي بعدها(٥).

---

(١) ينظر: الكتاب تحقيق أ.عبد السلام هارون ط. عالم الكتب، الثالثة-١٩٨٣م ٤/١٠٢،١٠١، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د.عبد الصبور شاهين نشر/مكتبة الخانجي ، القاهرة ص ٢٨٨،٢٨٩

(٢) حجة القراءات للإمام أبي زرعة بن زنجلة تحقيق:سعيد الأفغاني ط.مؤسسة الرسالة-بيروت، الخامسة١٩٩٧م ص٨٥

(٣) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات د.عبدالبديع النيرباني ط.دار الغوثاني، دمشق الأولى-٢٠٠٦م.ص٢٦٧

(٤) وهو نظير الإبدال في الصوامت. مقدمة في علم أصوات العربية د. عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي، الثالثة ٢٠٠٤م نشر المؤلف ص ١٦٠

(٥) راجع: علم اللغة العربية د. محمود فهمي حجازي وكالة المطبوعات - الكويت – توزيع دار العلم للملايين. ص٢٢٨،٢٢٩ وهذا النوع من الإتباع واضح من قول سيبويه: "وأما الذين قالوا: مِغِيرة، ومِعِين، فليس على هذا، ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مِنْتِن وأنبُوك، وأَجُوُك، يريد: أَجِيئُك، وأُنْبِئُك" الكتاب ٤/ ١٠٩

ويدعم جواز فتح حرف الحلق الساكن إتباعا لما قبله –علاوة على ما سبق– وجود قراءات متواترة تفتح حرف الحلق وما قبله كقراءة حمزة والكسائي(البَخَل)[١] بفتح الباء والخاء. وكذا رواية قارئ غير أبي الدرداء– هو ابن مناذر– فتحَ همزة (مأَكول).[٢]

ومما سبق يستنتج أن مرجع القراءة بالفتح هنا إنما هو السهولة أو التخفيف أو الميل إلى الاقتصاد في الجهد[٣]، بتخفيف المستثقل من الكلام عن طريق فتح الحرف الحلقي الساكن وهو الهمزة[٤].

والحكم على القراءة بالشذوذ[٥] ليس لفقدها ركن موافقة الرسم المجمع عليه[٦]؛ إذ إن الرسم متشابه بين القراءة العشرية بالإسكان، وبين

(١) في قول الله:"الذين يبْخَلُون ويأمُرون الناس بالبخل" النساء/٣٧ وكذلك في الحديد/٢٤ ، وقرأها الجمهور(ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر): بالبُخْل بضم الباء وسكون الخاء.راجع السبعة لابن مجاهد تحقيق د.شوقي ضيف ط.دار المعارف ص٢٣٣

(٢) شواذ القراءات للكرماني تحقيق د. شمران العجلي ط.مؤسسة البلاغ،بيروت د.ت ص٥٢٣

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية د.إبراهيم أنيس مطبعة نهضة مصر د.ت ص١٦٥،١٦٦

(٤) ويجب التنبيه إلى أن مصدر تخفيف الهمزة في القراءات ليس واحدا في كل الأمثلة القرائية؛ ولذا لم يتّحدْ مقياسُه في سائرها.ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د.عبد الصبور شاهين ص١٨٧

(٥) إذ إنها ليست من القراءات المتواترة بل عدت من القراءات الشاذة، وحكم أبو حيان على الفتح بالشذوذ. ينظر: البحر المحيط ٥١٢/٨، ونقله الألوسي عن ابن خالويه، وحكم عليه بالشذوذ أيضا. روح المعاني ٢٣٧/٣٠

(٦) فالقراءات الشاذة هي التي اختل فيها ركن من الأركان الثلاثة، وذهب عدد غير قليل من العلماء إلى أن ضابط القراءة الشاذة أو المقياس الصحيح للشذوذ إنما هو عدم موافقة المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وهو ما ذهب إليه ابن الجزري في النشر وزاده إيضاحا في المنجد. ينظر: النشر في القراءات العشر نشر:دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٩٩٨م ١٦،١٧/١ ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص٧٨–٨٢

القراءة الشاذة بالفتح[١] ، والشرط هو موافقة الرسم العثماني ولو احتمالا، كما قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك موافقة الرواية لوجه من وجوه العربية؛ إذ إن منشأ الرواية إنما هي اعتبارات لهجية تعود إلى شيوع الظاهرة بين بعض القبائل، ومن ثم ليس هناك من سبب محتمل للشذوذ إلا مخالفة مقياس الرواية وصحة السند[٢]، والمخالفة في عنصر الرواية لا يتنافى وشيوع الظاهرة بين بعض القبائل، بل إن الاستعمال يعد حجة لقبول الرواية كظاهرة لغوية، وأن شذوذها كقراءة لا يمنع دراستها كظاهرة صوتية، وإن كانت الظاهرة –كما تراءى للبحث– أكثر انتشارا وأوسع استعمالا في كل "ما كان ثانيه(عين الكلمة) حرفا من حروف الحلق، وكان مسكنا مفتوح الأول"[٣].

وأما نسبة الظاهرة، وما ذُكر من أن فتح حرف الحلق الساكن إنما هو من خصائص لهجة عُقَيل كما نصّ ابن جني، فإن أبا حيان نسب تلك

---

(١) ومما هو معلوم أن العربية خاصة والساميات عموما لم تعترف منذ كانت بوجود الحركات، بل كان كل اعتماد مجموعة اللغات الساميّة على الصوامت أكثر من المصوتات؛ ومن ثم لم تصطنع الساميّات للمصوتات رموزا، بعكس المجموعة الهندية – الأوربية، التي أبرزت دائما وجود هذه العناصر الصوتية، وأمر آخر يجب الإقرار به أن هذا النظام المكتفِي بالرموز الصامتة كان نظاما كاملا في نظر من استعملوه من العرب، محققا لما أمّلوا منه؛ إذ إنهم أرادوا من الرمز أن يؤدي من وجوه القراءة ما صح لديهم مما لقنه إياهم رسول الله على اختلاف قبائلهم، وعلى اتساع ما ارتضى لهم من الأحرف السبعة التي نزل بها، ولقد حمل الرمز كل ذلك بأمانة يعجز عنها أي نظام كتابي كامل الرموز؛ لأنه سمح بحرية التحول والحركة في الصوامت والصوائت داخل الأصل الاشتقاقي، بل سمح أيضا بالتبادل بين الأصوات الصامتة في مواقعها، بل سمح بأكثر من ذلك وهو إبدال صامت بآخر ليس من بنية الكلمة وهذا كله في حدود الروايات الواردة عن النبي الكريم. ينظر: القراءات القرآنية د.عبد الصبور شاهين ص ٢٥٩، ٢٦٠

(٢) ومعلوم أن عنصرَ الرواية أسبقُ تاريخيا من عنصر الرسم بل إن الرواية والمشافهة الركن الركين الذي اعتمد عليه العرب في مروياتهم الأدبية عموما وفي القرآن والحديث خصوصا.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١١/٣

الظاهرة إلى بعض بكر ابن وائل[١] ولا تناقض بينهما؛ إذ إن كتب البلدان تثبت أن بني عقيل كانت مساكنهم بالبحرين[٢]، وأن بني بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين[٣]؛ ومن هنا نفهم سر هذا التشابه في اللهجة بين القبيلتين[٤].

(١) قال أبو حيان في قول الله:"الذين يبْخَلُون ويأمُرون الناس بالبخل" النساء/٣٧:" وقرأ الجمهور: بالبخل بضم الباء وسكون الخاء. وعيسى بن عمرو الحسن: بضمهما....وهي كلها لغات. قال الفرّاء: البخل مثقّلة لأسد، والبخل خفيفة لتميم، والبخل لأهل الحجاز. ويخففون أيضاً فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة، وبعض بكر بن وائل يقولون البَخَل قال جرير: تريدين أن تُرضِي وأنتِ بخيلةٌ * ومن ذا الذي يرضي الأخلاء بالبَخَلِ، وأنشدني المفضل: وأوفاهُمُ أوان بَخَل، وينشد هذا البيت بفتحتين وضمتين: وإن امرأ لا يُرتجَى الخيرُ عنده * لذو بَخَلٍ كلٍّ على من يصاحبُ. البحر٣/٢٥٧

(٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي(ت٨٢١هـ) تحقيق/إبراهيم الإبياري ط.دار الكتاب اللبناني ببيروت، الثانية ١٩٨٠م ص٣٦٦

(٣)صفة جزيرة العرب للهمْداني تحقيق/محمد الحوالي ط.مكتبة الإرشاد بصنعاء، الأولى ١٩٩٠ ص٢٩٢

(٤) اللهجات العربية د.عبده الراجحي ص١١٤،١١٣ وينظر:اللهجات العربية نشأة وتطورا د.عبدالغفار هلال ص٣١٣

المحور الثاني: الدراسة الصرفية لمرويات آل الدرداء

المبحث الأول: في صيغ الأسماء

أولا: ما روي على صيغة المبالغة

✍- الشاهد القِرائي:

(مالِك) في قول الله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [1]حيث رواها أبو الدرداء (مَلِك) دون مدّ.

✍- توثيق القراءة:

قرأها عاصم والكسائي ويعقوب وخلف(مالِك) بألف بعد الميم على وزن(فاعِل) وبالخفض، ورُوي عن الكسائي أنه خيّر في ذلك، وقرأ (ملِك) على وزن(فعِل) بغير ألف ابنُ كثير ونافع وابن عامر وحمزة وأبو عمرو وزيد وأبو الدرداء وابن عبّاس وابن عمر....وغيرهم من الصحابة والتابعين.[2]

---

(١) الفاتحة/٤

(٢) كابن عباس وابن عمر وغيرهما. ينظر:السبعة ص١٠٤، كِتاب المصاحف للسجستاني ط. دار الكتب العلمية- الأولى ١٩٨٥م ص١٠٣-١٠٦، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني تحقيق/سبيع حمزة حاكمي،١٩٨٠م ص٨٦، التذكرة في القراءات الثمان لابن غَلبون تحقيق د/أيمن رشدي الأولى ١٩٩١م ٦٥/١، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م ٢٧/١-٢٨، الإبانة عن معاني القراءات لمكي تحقيق د.عبد الفتاح شلبي ط.دار نهضة مصر بالقاهرة ص١١٨، جامع البيان للداني تحقيق:محمد صدوق الجزائري، نشر:دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الأولى ٢٠٠٥م ص١٥٤، والتيسير في القراءات السبع للداني نشر دار الكتاب العربي، الثانية- ١٩٨٤م ص١٨، البحر المحيط ١٣٣/١، النشر لابن الجزري ٢١٣/١، روح المعاني ٨٢/١، معجم القراءات ٨،٩/١، الشامل في القراءات المتواترة د/ محمد حبش ط.دار الكلم الطيب دمشق-بيروت الأولى-٢٠٠١م ص١٧٥

✍- التوجيه:

وجّه علماؤنا القدامى قراءة "المَلِك" على اشتقاقها من "المُلْك"، وقراءة "المالِك" على اشتقاقها من "المِلْك" ؛ لذا فتأويل قراءةِ من قرأ:(مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، أن لله المُلْكَ يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان فأيقنوا أنّ له-تعالى- من دُونهم، ودون غيرهم - المُلك والكبرياء، وأما تأويلُ قراءة من قرأ:(مالِك يوم الدين)، فهو أنه لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معهُ حكمًا كمِلْكِهم في الدنيا(١).

✍- التحليل والمناقشة:

من توجيهات علمائنا القدامى -وهم كثر- تتضح أن رؤيةَ معظمِهم قائمةٌ على أن العلاقة بين القراءتين علاقة عموم وخصوص على اختلاف بين القدماء حول أيّهما أعمّ مصحوبٍ بأدلة سياقية مناظرة من القرآن والشعر على النحو الآتي:

ذهب فريق إلى أن قراءة(ملِك) أشملُ وأعم من قراءة (مالك) ؛ إذ إن مقصودَ قراءة: ﴿مالِك يوم الدين﴾: مالك ذلك اليوم بعينه، ومقصودَ قراءة ﴿ملِك يوم الدين﴾: ملِك ذلك اليوم بما فيه، فالمَلِك يملكُ كل شيء، والمالِك يملك شيئا معينا، وملِك يَجمع مالكا، ومالك لا يجمع ملِكا؛ وقد أجمعوا على ﴿الملِك القدوس﴾، و ﴿الملِك الحق﴾، و﴿ملِك الناس﴾(٢)، وبالمُلك وصف

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري تحقيق د.عبد الله التركي ط.دار هجر بالجيزة، الأولى ٢٠٠١م ١/١٥٠ بتصرف

(٢) الآيات على الترتيب الحشر/٢٣، وطه/١١٤، والناس/٢

ربنا نفسَه فقال:﴿لمن المُلْك اليوم﴾[١]بضم الميم إجماعا فامتدح بمُلك ذلك وانفراده به يومئذ، فمدحه بما امتدح به أحق وأولى من غيره.[٢]

وفضّل هذه القراءة وقوّاها الطبري، ومكي، وأبو بكر محمد بن السري وغيرهم[٣].

بينما ذهب فريق آخر إلى أن ملِك أخص من مالِك وداخل تحته؛ لأن(مالِكا) يحوي المُلك ويشتمل عليه، ويصيّر (المُلك) مملوكا لقوله جل وعزّ :﴿قل اللهم مالِك الملك﴾ بالألف إجماعا؛ فقد جعل (المُلْك) للمالِك، فصار(مالِك) أمدح وأملح؛ حيث يجمع لفظ الاسم ومعنى الفعل فهو أعمّ وأجمع للمعاني من ملِك، وكذا فإن الوصف بالمِلك أعمّ من الوصف بالمُلك، والله سبحانه مالِك كل شيء فوصفه بالمِلك أبلغُ في الثناء وأعمُّ في المدح من وصفه بالمُلك.[٤]

وعلاوة على تلك الرؤية القائمة على الخصوص والعموم والتفضيل بين القراءتين فهناك من ذهب إلى أن القراءتين حسنتان قويتان في الرواية، وأن المِلك والمُلك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو

---

(١) غافر/١٦

(٢) ينظر في تفصيل حجج القراءة بغير ألف وما ذكره ابن سلام وما روي عن أبي عمرو وغيرهما من عمومية ملِك : السبعة ص١٠٤، الحجة لأبي علي الفارسي١/٩-١٣،١٠-١٤، حجة القراءات لأبي زرعة ص٧٨،٧٧، الكشف ١/٢٦-٢٩،٣١، شرح الهداية للمهدوي ١/١٥،١٦

(٣) راجع: الطبري ١/١٥١، الحجة لأبي علي الفارسي ١/١٣ وما بعدها، الكشف ١/٢٩-٣٢

(٤) ينظر في تفصيل من احتج للقراءة بالألف وما رُويَ عن الأخفش الأوسط والكسائي وغيرهما : السبعة ص١٠٤، إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه تحقيق د.عبد الرحمن العثيمين نشر: الخانجي- القاهرة، الأولى ١٩٩٢م ١/٤٧، الحجة لأبي علي الفارسي ١/١١-١٨،١٣-٢٠، حجة القراءات لأبي زرعة ص٧٨،٧٩، الكشف ١/٢٥،٢٦، شرح الهداية ١/١٦

الربط والشد...وكلام العرب بعضه مأخوذ من بعض؛ فقد يكون الأصل واحدا ثم يخالف بالأبنية، فيلزم كل بناء ضربا من ذلك الجنس...فكذلك ملِك ومالِك؛ فالمَلِكُ يملِكُ الكثيرَ من الأشياء، ويشارك غيرَه من الناس، بأنه يشاركه في مِلكه بالحكم عليه فيه، والمَلِك يملِك على الناس أمورهم، ولابد للمعاني من أن تتقارب فإذا كان معنى مالِك أنه يملك يوم الدين وهو الجزاء، ولا يملك ذلك اليومَ ولا سائر الأيام غيرُ الله سبحانه، ولا يشاركه فيه مخلوق؛ فإن المُلك في ذلك اليوم أيضا لا يكون إلا لله، فهو متفرد بهذا الوصف.

وروي عن أبي الحسن الأخفش أن الاختلاف الكائن لهجيٌّ حيث يقال: ملِكٌ بيّن المُلك، الميم مضمومة. وتقول: مالِك بيّن المَلْك والمِلْك، بفتح الميم وكسرها. وزعموا أن ضم الميم لغةٌ في هذا المعنى.(١)

وبعد تحليل كلام علمائنا الذي طال حول القراءتين إطالة بالغة، يمكنك اختصار هذا في توجهين:

الأول: أن ثمت فرقا بين القراءتين من حيث أصل الاشتقاق فالذين قرأوا مالِك اشتقوها من المِلك بكسر الميم، والذين قرأوا مَلِك اشتقوها من المُلك بضم الميم، وهناك فوارق بينهما.

التوجه الثاني: أن القراءتين بمعنى ولا فرق كبير بينهما فإن مالك اسم فاعل وملِك صيغة مبالغة تؤدي معنى اسم الفاعل أيضا.

(١) ينظر: الحجة للفارسي ص١٣-١٦

القراءتان وظاهرة التحول الداخلي:

إذا وضعتَ هذه الوجهات في سياق التحليل الدلالي للبنية الصرفية فيمكنك الوصول إلى أن ثمة معنى معجميا عاما مشتركا بين القراءتين وهو يتمثل في احتوائهما دلالة الفعل مَلَكَ، ثم أضيف إلى هذا المعنى الأصلي العام ما يُخصصه عن طريق وحدة التخصيص الكامنة في اسم الفاعل الصريح (قراءة مالِك) الذي يدل -كما هو معلوم- على الحدث وفاعله، ثم حوّلت صيغةُ فاعِل إلى صيغةٍ من صيغ المبالغة وهي فعِل (قراءة مَلِك) للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث(١).

ولا فرق بين مَـلَكَ ومَـــالِك إلا في طول الحركة الأولى، حركة الميم، ومع ذلك فإن هذا الطول قد غيّر معنى الكلمة من كونها فعلا تامّ الحدث، إلى كونها اسمَ فاعل يوصف به صاحب الحدث، والفرق بين مَـلَكَ ومَـلِك، ليس إلا فرقا في نوع الحركة الثانية، وقد أتاح هذا التغيير في نوع الحركة تغيرا في المعنى المراد من الفعل، إذ صرفه من التعبير عن مجردِ وقوع الحدث إلى المبالغة في تحققه.

وما سبق بيانُه من تحوّل من صيغة لأخرى عن طريق تغييرٍ داخلي لحركاتِ صوامت الأصل الاشتقاقي وما ينجم عن ذلك من تغير دلالي يطلق عليه اسم (ظاهرة التحول الداخلي) وهي الطريقة الرئيسية للاشتقاق

(١) وصيغة اسم الفاعل تحوّل إلى خمسة أوزان هي:(فعّال، مفعال، فعول، فعيل، وفعِل) بغرض المبالغة والتوكيد. ينظر: اللهجات العربية د. الراجحي ص١٧١

أو توليد الكلمات في العربية مما أتاح لها كثرة غزيرة في الصيغ، ومرونة في الانتقال من صيغة لأخرى.(١)

القراءتان في ضوء سياق الحال:

في ضوء سياق الحال يمكن الجمع بين القراءتين على وجه التعانق والتكامل بأن يقال إن القراءتين لهما معنيان مختلفان فقراءة مالِك قرأها النبي (صل الله عليه وسلم) أمام جمع من الأثرياء الأغنياء فناسبهم القراءة المأخوذة من المِلك بمعنى الأشياء المادية من الأموال والأطيان والتجارة والقصور وغير ذلك؛ فقراءة مالك تشير إلى الذين يرون أنفسهم قد جمعوا أموالا وصاروا أثرياء وكأنها تزجرهم بأن المالك الحقيقي لكل شيء هو الله، وما هم إلا مستخلفون فيه.

أما قراءة ملِك فهي مشتقة من المُلك وهذه خوطب-ويُخاطَبُ- بها أصحاب السلاطين وأصحاب المناصب أي أن المُلك الدائم لله وحده؛ فهو- سبحانه- ملِك الملوك الذي يملك ملوك الدنيا، وما ملَكوا.

فكل قراءة تؤدي معنى مستقلا وتهدُفُ إلى غاية مستقلة، لكن الأهداف تتلاقى لبيان جوانب المعنى.

(١) ينظر ذلك وكذا النموذج المخطط الذي يبرز طابع التحول الداخلي في مجموعة الروايات الواردة في كلمة ملك في: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د.عبد الصبور شاهين ص٢٨٣-٢٨٥

ثانيا: ما روي معرّفا

✍- الشاهد القِرائي:

(لِنَبيٍّ) في قول الله:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ...﴿٦٧﴾ ﴾[١] حيث رواها أبو الدرداء وأبو حيوة (للنّبيِّ) معرَّفا.

✍- توثيق القراءة:

قال ابن خالويه: ما كان للنبي أن يكون له أسرى: بلامين أبو الدرداء وأبو حيوة، وهي في مصحف أبي الشُّمَيط.[٢]

✍- التوجيه:

وجّه علماؤنا القدامى من أهل التفسير[٣] قراءة "للنّبيّ" بالتعريف على أنها موَجَّهة بالتعيين إلى رسولنا الكريم حيث ذكر أبو حيان أن "أبا الدرداء وأبا حيوة قرآ ما كان للنبي معرّفاً والمراد به في التنكير والتعريف الرسول(صلى الله عليه وسلم) ولكنْ في التنكير إبهام في كون النفي لم

---

(١) الأنفال/٦٧

(٢) مختصر ابن خالويه ص٥٦، وينظر: البحر المحيط ٥١٣/٤، روح المعاني ٣٢،٣٣/١٠، معجم القراءات ٣٢٨/٣، وقد أشار إلى هذه القراءة الزمخشريُّ في كشافه تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ط.مكتبة العبيكان الأولى-١٩٩٨م ٥٩٨/٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥٥٢/٢، والرازي في مفاتيح الغيب ط.دار الفكر بلبنان الأولى-١٩٨١م ٢٠٤/١٥ لكنها غير معزوّة في الثلاثة وغير محكوم عليها بشذوذ أو تواتر، بينما أشار إليها البقاعي في نظم الدرر ط.دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ٣٣٠/٨ حاكما عليها بالشذوذ ولكن دون عزو أيضا، وقد قرأها جمهور القرأة بلام واحدة(لِنَبِيٍّ) على التنكير.

(٣) معلوم أن العلماء قسموا الكتب التي عنيت بتوجيه القراءات أقساما عديدة وعلى رأسها مدونات التفسير؛ فكثير منها لا يُغفل توجيه القراءات المرتبطة بالمعنى لأنها من صلب التفسير، وهذا علاوة على كتب أخرى عنيت بتوجيه القراءات ككتب أعاريب القرآن وكتب إعراب القراءات وتوجيهها.

يتوجه إليه معينا... وهو هنا على حذف مضاف أي ما كان لأصحاب نبي أو لأتباع نبيّ فحذف اختصاراً ولذلك جاء الجمع في قوله: تريدون عرض الدنيا ولم يجيء التركيب تريد أو يريد عرض الدنيا لأن النبي (صل الله عليه وسلم) الكريم لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد عرض الدنيا قط، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب.(١)

وأشار صاحب إرشاد العقل السليم إلى دلالة قراءة التعريف على العهد فقال: "....ما كان لنبي، وقرئ للنبي على العهد، والأول أبلغ؛ لما فيه من بيان أن ما يُذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام أن يكون له أسرى....حتى يثخن في الأرض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله."(٢)

ولا يخالف الألوسيُّ ما استُنبِط من دلالة التعريف على شخص نبينا الكريم حيث قال: " قرأ أبو الدرداء، وأبو حيوة (للنبي) بالتعريف والمراد به نبينا الكريم، وهو –عليه السلام– المراد أيضا على قراءة الجمهور عند البعض، وإنما عبر بذلك تلطفا بالنبي (صل الله عليه وسلم) حتى لا يواجَه بالعتاب، ولذا قيل: إن ذاك على تقدير مضاف أي لأصحاب نبي بدليل قوله تعالى الآتي: تُرِيدُونَ ولو قصد بخصوصه صلى الله عليه وسلم لقيل:تريد،

(١) البحر المحيط ٤/٥١٤،٥١٣

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود نشر:دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان د.ت ٤/٣٥

ولأن الأمور الواقعة في القصة صدرت منهم لا من النبي (صل الله عليه وسلم) الكريم ."[١]

✍- التحليل والمناقشة :

مما سبق من نصوص يتبين لك الآتي:

أولا: يُستدلّ من قراءتَيْ التعريف والتنكير-في ظلال هذا السياق القرآني- أن المراد بالنبي (صل الله عليه وسلم) هو نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، كما يُستوحى من قراءة التنكير -علاوة على ذلك- تعميمُ الحكم فالنفي (ما كان...) حكم سابق يعم جميع الأنبياء ويتوجه إليهم.

ثانيا: استوحى العلماء من قراءة التعريف (للنّبِيَ) معنى العهْدية والتخصيص، بينما استوحوا من التنكير (لِنَبِيٍّ) معنى الجنس وعموم الحكم، وهذا يتناسب مع ما هو مقرر من أن التعريف يستدعي معنى العهدية، بينما يستدعي التنكير معنى الشيوع وإرادة الجنس والإبهام دون دلالةٍ على معيّن أو معهود[٢].

بيد أن الألوسي بعدما ذهب هذا المذهب التمس من قراءة التعريف النّكتةَ نفسَها المستنبطةَ من قراءة التنكير فعقّب على تأويل العلماء قراءة التنكير بمعنى العموم قائلا: "وفيه نظر ظاهر، والظاهر أن المراد على قراءة الجمهور العموم ولا يبعُد اعتباره على القراءة الأخرى أيضا وهو أبلغ لما

(١) ينظر: روح المعاني ١٠/٣٣،٣٢

(٢) راجع: الكتاب لسيبويه ١/٢٢، ٢/٥، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د.أحمد سعد محمد، نشر: مكتبة الآداب، الثانية ٢٠٠٠م ص١٤٤،١٤٣

فيه من بيان أن ما يُذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم السلام، أي ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى."[١]

وواضح أن الألوسي لا يقطع بدلالة التعريف على العموم، بل يظن ظنا مستوحِيا منه، ما استوحاه أبو السعود وأبو حيان من قراءة التنكير[٢]، مما قد يوحي بشيء من التداخل في كلام الألوسي.[٣]

ثالثا: رجّح علماؤنا القراءةَ العشرية بالتنكير(ما كان لنبيٍّ) تلطّفا به -صلّى الله عليه وسلّم- حتى لا يُواجَه بالعتاب ، وحتى يحتمل حذف مضاف؛ أي ما كان لأصحاب نبي أو لأتباع نبيّ...، والتنكير هنا وكذا تقدير الحذف يتناغمان وسياق الآية الذي وُجِّهَ فيه الخطابُ صراحةً إلى أصحاب النبي (صل الله عليه وسلم) (تريدون عرض الدنيا) ولو قُصد نبينا فقط لقيل: تريد عرض الدنيا.

وبعد العرض وتحليل ما ذكره علماؤنا يمكن القول بأنه قد تغايَرَ وجهُ القراءةِ في الآية الكريمة بينَ القراءة العشرية على التنكير(ما كان لنبيٍّ)، وبين القراءة الشاذة على التعريف(ما كان للنّبيّ) ولكل قراءة وجهُها المناسب وتوجيهُها المتناغم والسياق القرآني في الآية وفي السورة.

المفاضلة بين التنكير والتعريف :

---

(١) روح المعاني ١٠/٣٣،٣٢

(٢) وهو بيان أن ما يُذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم السلام.

(٣) ويظهر لك -إن أعدتَ قراءة كلام الألوسي- احتمالية حمل كلامه على النحو الآتي: "والظاهر أن المراد على قراءة الجمهور العموم وهو أبلغ لما فيه من بيان..." وأن جملة(ولا يبعد اعتباره على القراءة الأخرى أيضا) اعتراضية.

قد فاضل العلماء بين القراءتين فاختاروا معنى قراءة التنكير، بل قال أبو السعود بأبلغية القراءة[١] تناغما مع خطاب الآية المُوَجَّهِ -كما ذهب جلّ المفسرين- لمن أشار على النبي (صل الله عليه وسلم) بالفداء؛ مما استوجب تنكير كلمة (نبيّ)؛ فالحكم لا ينطبق على النبي (صل الله عليه وسلم) وأصحابه فقط، وإنما هو "حُكمٌ سَابِقٌ فِي حُرُوبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ"[٢]، ويعضّد القراءةَ بالتنكير- علاوة على أنها قراءة متواترة- ما يلي:

١- جو الآيات الكريمة التي تشيع بين جنباتها ملامح التوبيخ والعتاب واللوم غيرِ الموجَّه للنبي، فالرسول" لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد عرض الدنيا قط، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب."[٣]

٢- سياق الآية والآيتين التاليتين مُوَجَّه إلى صحابة النبي (صل الله عليه وسلم)، واقرأ إن شئت: ﴿تريدون عرض الدنيا...لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم...فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله...﴾.

٣- التلطف والمؤانسة والترفق بنبينا محمد[٤] عندما قصد النصُّ القرآنيُّ إبهام النفي وعدمَ توجهه إلى نبيِّنا بالتعيين سالكا طريق التنكير.

---

(١) راجع إرشاد العقل السليم ٣٥/٤ وقد استخدم الألوسي أيضا مصطلح الأبلغية ولكن لا يقصد بها صراحة قراءةً ما، وإنما يقصد أبلغية معنى العموم قائلا:" والظاهر أن المراد على قراءة الجمهور العموم ولا يبعُد اعتباره على القراءة الأخرى أيضا وهو أبلغ" روح المعاني ٣٣/١٠

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ط.الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م ٧٤/١٠

(٣) البحر المحيط ٥١٣،٥١٤/٤، المحرر الوجيز ٥٥١/٢

(٤) حيث بكى هو وأبو بكر حين نزلت الآيات. راجع: الكشاف ٥٩٩،٦٠٠/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق د. عبدالله التركي ط.مؤسسة الرسالة الأولى -٢٠٠٦م ٧١،٧٢/١٠

ولأنه لا ضير على النسق القرآني المعجز من تعدد وجوهه القِرائية، ومن ثم تنوع دلالاتها المستوحاة والمبنية على تذوق المتدبر لمقام الكلمة داخل نظمها تذوقا يتنادى مع السياق القرآني الحالي والمقاليّ؛ إذ إن هذا التغايرَ تغايرُ تنوعٍ -لا تناقض- مما يعد لبنة تضاف إلى صرح البناء القرآني المعجِز- فقد كانت القراءة الأخرى بالتعريف (للنبيّ) والتي دلت على معنى العهدية والاختصاص لينصرف الخطاب لنبينا محمد على سبيل التعيين "وإنما قال الله جل ثناؤه ذلك لنبيه كي يعرِّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم رسول الله يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم"(١)، وللقراءة بالتعريف ما يَدعمها على النحو الآتي:

١- استخدام الأسلوب القرآني بادئ ذي بدء وصف النبوة-تعريفا كان أو تنكيرا- يوحي بأن خطاب المعاتبة (من باب ترك الأولى) يتضمن نبينا الكريم لأنه-عليه السلام- " لم يُنهِ عن ذلك حين رآه"(٢)، وإن لم يكن خطابا مباشرا، فكانت قراءة التعريف للدلالة الصريحة على ذلك دون إبهام.

٢- مساق الآية والآيتين بعدها بتاء الخطاب وكافِه يجعل الكلام موجها إلى الجميع (النبي (صل الله عليه وسلم) والصحابة) دون استثناء وإن كانت حقيقتُه موجهةً إلى جمهور مباشري الحرب من الصحابة الذين أشاروا على النبي (صل الله عليه وسلم) بأخذ الفدية.

٣- على قراءة التعريف يحتمل السياقُ الداخلي توجيهَ الخطاب للصحابة على تقدير مضاف- كما احتمله مع التنكير- أي: ما كان لأصحاب النبي

(١) الطبري ٢٧١/١١
(٢) المحرر الوجيز ٥٥١/٢

(صل الله عليه وسلم) أو أتباع النبي (صل الله عليه وسلم)، وإن كان سياق الآية بعد ذلك يدفع التقديرين[١] حيث أُسند الإثخان (حتى يثْخن...) إلى المفرد –لا إلى الجمع– في كل القراءات[٢].

٤–المناسبة اللفظية لسياق مطالع الآيات السابقة واللاحقة إنما هو التعريف؛ إذ إن قبل هذه الآية بآية واحدة وردت الكلمةُ على التعريف مرتين في مقام النداء لرسولنا الكريم حيث يقول الله:﴿يا أيها النبي (صل الله عليه وسلم) حسبك الله....يا أيها النبي (صل الله عليه وسلم) حرّض المؤمنين...﴾ ، وكذا وردت بعد الآية بآيتين يقول الله: ﴿يا أيها النبي (صل الله عليه وسلم) قل لمن في أيديكم من الأسرى...﴾.

٥– الرسم بالتعريف(للنبيّ) يوافق رسم إمام أهل الشام[٣].

---

(١) التقدير مع التنكير: ما كان لأصحاب نَبيٍّ، ومع التعريف: ما كان لأصحاب النبيّ.

(٢) سواء عُدّي الفعلُ بالهمزة كما في قراءة الجمهور(حتى يُثخِن) أو بالتضعيف(حتى يثخّنَ) كما في قراءة أبي جعفر.راجع معجم القراءات ٣/٣٣٠،٣٢٩

(٣) أي في المصحف الذي نسخه سيدنا عثمان من المصحف المسمى(بالإمام) وأنفذه إلى الشام، والرسم بالتنكير في إمام أهل العراق؛ أي في المصحفين الذين نسخهما سيدنا عثمان من المصحف (الإمام) وأنفذ منها مصحفا إلى الكوفة ومصحفا إلى البصرة، وقد ذكر ابنُ خالويه أن الرسم بالتعريف في مصحف أبي الشّمَيط، ولعله أراد ابن الشُّميط (أحمر بن شميط–من أصحاب المختار الثقفي) – لا أبا الشميط – وابن الشميط هذا من المجهولين الذين نسبت المصاحف إليهم. راجع: كتاب المصاحف للسجستاني ص٥٥، شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد تأليف أبي البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصح على عقيلة أتراب القصائد للإمام الشاطبي في علم الرسم، راجعه وعلق عليه الشيخ/عبد الفتاح القاضي، ط.مصطفى البابي الحلبي ص ١٦، تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ط. دار نهضة مصر ص١٦٠، معجم القراءات ٣/٣٢٨.وموافقة القراءة للرسم، مع اتفاقها مع وجوه العربية، يؤكد أن شذوذ القراءة يعود إلى أمر يتصل بضعف في السند، أو عدم بلوغٍ لدرجة التواتر.

ثالثا: ما روي منسوبا

✍- الشاهد القِرائي:

(الفُلْكِ) في قول الله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ... ﴿٢٢﴾ ﴾،[١] حيث رواها أبو الدرداء، وروتها زوجه أم الدرداء الصغرى (الفلكيِّ) بياء مشددة مجرورة هي ياء النسب.

✍- توثيق القراءة:

قال ابن جني: ومن ذلك قراءة أم الدرداء: "حتى إذا كُنتم في الفُلْكِيِّ بكسر الكاف وتثبت الياء.[٢]

وقال الكرماني: وعن أم الدرداء(كنتم في الفلكيّ) بياء مشددة مجرورة[٣].

وفي المحرر الوجيز: وقراءة أبي الدرداء وأم الدرداء في الفلكِي على وزن فُعْلِي بياء نسب وذلك كقولهم أشقري وكدواري في دور الدهر وكقول الصلتان أنا الصلتاني.[٤]

---

(١) يونس/٢٢

(٢) المحتسب ٣١١/١، ٣١٠

(٣) شواذ القراءات للكرماني ص٢٢٥، ونُسبت القراءة إلى أم الدرداء فقط –علاوة على المحتسب وشواذ القراءات– في الكشاف١٢٦/٣، وفي روح المعاني٩٦/١١

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ١١٣/٣ وكذا نسبت لكليهما(أبي الدرداء وزوجه) في البحر المحيط ١٤٢/٥، وفي الدر المصون للسمين الحلبي تحقيق د.أحمد الخرّاط ط.دار القلم، دمشق د. ت ١٧٠/٦. ينظر: معجم القراءات ٥٢٢/٣

✍- التوجيه:

تلمس ابن جني عذرا[١] -على حد تعبيره- في إلحاق الياء المشددة للفُلك في قراءة (الفلكيّ) فقال مستشهدا على زيادتها:" اعلم أن العرب زادت ياءَ الإضافة فيما لا يُحتاج إليها، قال العجاج: والدهر بالإنسان دَوّاريّ أي: دوَّار. وقال فيها أيضًا : غُضْف طواها الأَمسَ كَلَّابيّ أي: كَلَّاب..."، ثم دفع ابنُ جني شبهةَ اختصاص زيادة الياء بالصفات لا بالأسماء فقال مدلِّلا مبينا أوجه الشبه بين الاسم والصفة: "فإن قيل: فإن هذا أمر يختص بالصفات، وليس (الفلك) بصفة فتلحقه ياء النسب، قيل: قد جاء ذلك في الاسم أيضًا. ألا ترى إلى قول الصلتان: أنا الصلتانيّ الذي...وأيضًا فقد شُبه كلٌّ واحد من الاسم والصفة بصاحبه، فغَيْرُ منكَر أنْ يُشَبه الفلك بالحلو والمر. ويزيد في شبهه به أن الفلك عندنا اسم مكسَّر،... وإذا كان جمعًا مكسرًا أشبه الفعل من حيث كان التكسيرُ ضربًا من التصرّف، وأصل التصرف للفعل...ولأن التكسير أيضًا ثانٍ كما أن الفعلَ ثانٍ، وإذا أشبهَ التكسيرُ الفعلَ من حيث وصفنا قاربَ الصفةَ لشدة ملابسة الصفة للفعل لفظًا ومعنًى وعملًا، فهذا عندي هو العذر في إلحاق "الفُلك" ياءي الإضافة في هذه القراءة."[٢]

وقد تلمّس الزمخشري لإضافة الياء المشددة -علاوة على وجه زيادتها- وجها آخر هو أن يكون المرادُ بالفلكي الماءَ الغَمْرَ الكثير، وكأنه قال: حتى إذا كنتم في اللجّ الفلكيّ، يقولُ: "فإن قلتَ: ما وجهُ قراءةِ أمّ

(١) وهذا شأن ابن جني في محتسبه؛ حيث يحاول الكشف عن وجه القراءة ويوضح عللها ويخرّجها نحويا أو صرفيا أو لهجيا ويجتهد في إثبات صحتها، وهذا مع الشواذ-لاشك-يحتاج معرفة دقيقة باستعمالات العربية وأساليبها اللغوية من قرآن وسنة وشعر ولهجات.

(٢) راجع: المحتسب ٣١٠/١، ٣١١، وينظر أيضا: المحرر الوجيز ١١٣/٣، روح المعاني للألوسي٩٦/١١، معجم القراءات ٥٢٢/٣

الدرداء: (في الفلكيّ) بزيادة ياء النسب؟ قلتُ: قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري. ويجوزُ أن يُرادَ به اللجّ والماء الغَمر الذي لا تجري الفلكُ إلاّ فيه."(١)

✍- التحليل والمناقشة:

مما سبق يتبين أن وجهَ إلحاق الياء المشددة آخر الاسم (الفلك) في قراءة (الفلكي) قد يكون واحدا من اثنين:

أولا: على سبيل الزيادة في الاسم، كما زادها العرب في الاسم العلم كقول الصلتان: أنا الصلتانيّ، وتشبيها للاسم بالصفة؛ إذ إن العرب زادوا الياء في الصفة في نحو: أحمرّيّ وخارجيّ وزواريّ.

ثانيا: على إرادة النسب؛ فيراد بالفُلك: اللّجّ، وكأنه قال: حتى إذا كنتم في اللّجّ الفلكي، وهو الماء الغَمر الكثير وسط البحار؛ حيث لا تجري السفنُ عادة إلا فيه، وعندئذ "يكونُ الضمير في (جَرَيْنَ) عائداً على الفلك على معنى الجمع لدلالةِ (الفلكيّ) عليه لفظا ولزوما، ويكون الضمير في بهم عائدا على الكائنين في الفلك".(٢)

وبمراجعة توجيهات علمائنا حول إلحاق (الفلك) ياءي الإضافة في قراءة (الفلكيّ) يتبين أن القول بزيادة الياء المشددة في لغة العرب فيما لا يحتاج إليها قياسا على الصلتانيّ إنما كان في استعمالات أو شواهد لغوية قليلة لا تتجاوز مثالا أو مثالين؛ ومن ثم لا ترقى للقياس عليها، ثم بناء حكم لغوي إثرها.

---

(١) الكشاف ١٢٦/٣ وينظر: البحر المحيط ١٤٢/٥، الدر المصون١٧٠/٦

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٤٢/٥، الدر المصون١٧٠/٦، روح المعاني ٩٦/١١

وما ذكره أيضا ابن جني من تشبيه الاسم(الفلك) بالصفة لأنه جمع تكسير، والتكسيرُ ضربٌ من التصرّف، وأصل التصرف للفعل...والتكسير ثانٍ كما أن الفعل ثانٍ، وإذا أشبهَ التكسيرُ الفعلَ على هذا النحو قاربَ الصفةَ لشدة ملابسة الصفة للفعل لفظًا ومعنًى وعملًا فهذا -في تصوري- تكلّف وتعسّف، والقراءة في غنى عنه.

ولا يبقى غيرُ احتمالية الوجه الثاني وهو أن الياءَ أضيفت بغرض المبالغة، وأن المراد بالفلك اللج، أو الماء الغَمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه، وهذا التخريج هو الأنسب لسياق الآية والآيات بعدها وما فيها من تهويل وخطب جسيم مع إنذار وإمهال وتوعد؛ حيث السفن تكون في عرض البحر، ولا يُدرك قعر الماء ، وعندها تجيء ريح لينة الهبوب فيفرحون بها ويسعدون، لعدم علمهم بالعواقب، ثم تعقبها ريح عاصفة شديدة الهبوب مع اضطراب البحر، وتراكُمِ أمواجه وتلاطمها، فيتيقن الناسُ الهلاك والغرقَ، ويحيط الكربُ بهم، وترتجف قلوبهم، وتضعف قواهم، وتنحل عزائمهم؛ إذ لا ملجأ لهم ولا منجى وهم في هذا المكان الذي لا يقدرون على الانفكاك عنه، عندئذ يكون الرجوع إلى الفطرة والتوحيد والدعاء بالإنجاء.

وهناك من ارتأى أن إضافة الياء لتحقيق المبالغة يعد شذوذا فقال تعليقا على توجيه العلماء للفلكيّ: "من الشاذ أن تُزاد ياءُ النسب المشددة في آخر الاسم لغرض المبالغة لا لغرض النسبة".(١)

(١) أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف -جامعة أم القرى إعداد/أحمد محمد الغامدي إشراف أ.د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ١٩٨٩م ٢/٧٦٩،٧٦٨

رابعا: ما روي على صيغة المصدر

✍- الشاهد القِرائي:

(الآصال) في قول الله:﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ...﴿٢٠٥﴾ ﴾[1]حيث رواها أبو الدرداء على المصدرية هكذا: (والإيصال).

✍- توثيق القراءة:

قال أبو جعفر النحاس:" وقرأ أبو مِجْلَز (بالغدوّ والإيصال) "[2]

وقال ابنُ خالويه:"الإيصال أبو مِجْلَز وأبو الدرداء هي في مصحف ابن الشُّمَيْط ."[3]

---

(١) الأعراف/٢٠٥ وقد تكررت الكلمة بصيغة الجمع(الآصال)مقترنة بالغدوّ هكذا: (بالغدوّ والآصال) في القرآن في موضعين آخرين غير موضع الأعراف هما: الرعد/١٥ في قوله تعالى:"ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغُدوّ والآصال"، وفي النور/٣٦ قال تعالى:"في بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال". وقد وردت الكلمة بصيغة المفرد(أصيل) في مواضع أربعة هي الفرقان/٥، الأحزاب/٤٢، الفتح/٩، الإنسان/٢٥. راجع: المعجم المفهرَس لألفاظ القرآن الكريم وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ -باب الهمزة- مادة أ ص ل.

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس تحقيق د.زهير زاهد ط.عالم الكتب،الثالثة ١٩٨٨م ١٧٣/٢

(٣) مختصر ابن خالويه ص٥٣، ولم تنسب قراءة الإيصال إلى أبي الدرداء إلا في هذا الموضع وفي مختصر ابن خالويه فقط، حيث نَسبَ ابنُ خالويه قراءة الإيصال في آية الرعد إلى عمران بن حدير فقط، وفي آية النور نسبها إلى أبي مِجلز فقط. ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٠٤،٧١، وينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته د. أحمد مختار عمر، مؤسسة سطور ط. الأولى،٢٠٠٢م الجذر: أ ص ل ، الجذع: أصيل ص٨١٠، معجم القراءات ٢٥٤/٣

وقال ابنُ جني:"ومن ذلك قراءة أبي مِجْلَز:(بالغدو والإيصال)بكسر الألف ."[١]

✍- التوجيه:

قرأ الجماعةُ الكلمة موضع الشاهد بصيغة الجمع هكذا (والآصال)، بينما رُويت عن الصحابي الجليل أبي الدرداء، وكذا التابعي أبي مِجلَز واسمه لاحق بن حميد السدوسي البصري بصيغة المصدر(والإيصال).

قال النحاس:" وقرأ أبو مِجْلَز(بالغدوّ والإيصال)وهو مصدر آصلنا أي دخَلْنا في العشيّ. "[٢]

وقال الزمخشري:" (بِالْغُدُوّ وَالاْصَالِ) لفضل هذين الوقتين. أو أراد الدوام. ومعنى بالغدوّ بأوقات الغدو، وهي الغدوات. وقرىء: (والإيصال)، من آصل إذا دخل في الأصيل ، كأعصر وأعتم وهو مطابق للغدوّ."[٣]

وذكر صاحب البحر المحيط أن الإيصال:" مصدر قولهم آصلت أي دخلت في وقت الأصيل فيكون قد قابل مصدراً بمصدر، ويكون كأعصر أي دخل في العصر وهو العشي وأعتمَ أي دخل في العتمة."[٤]

---

(١) المحتسب ٢٧١/١ وقد اقتصِر على أبي مزلج وحده في مشكل إعراب القرآن لمكي تحقيق: حاتم الضامن، ط. دار البشائر–دمشق، الأولى٢٠٠٣م ٣٤٤/١، والمحرر الوجيز٤٩٤،٤٩٥/٢ ، وشواذ الكرماني ص٢٠١، والقرطبي ٤٣٤،٤٣٥/٩، والبحر المحيط ٤٤٩/٤ ، والدر المصون٥٥٣/٥، وروح المعاني ١٥٥/٩، وقد وردت القراءة غير معزوة في الكشاف ٥٤٨/٢، وفي شواذ العكبري ٥٨٣/١.

(٢) إعراب القرآن ١٧٣/٢، وينظر: المحتسب ٢٧١،٣٥٦/١، ١١٣/٢، مشكل إعراب القرآن ٣٤٤/١، البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري تحقيق د.طه عبد الحميد طه ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م ٣٨٢/١

(٣) الكشاف ٥٤٨/٢، وينظر القرطبي: ٤٣٤،٤٣٥/٩

(٤) البحر المحيط ٤٤٩/٤ ، وينظر: معجم القراءات ٢٥٤/٣

✍- التحليل والمناقشة:

يستنتج من توجيهات العلماء لقراءة الإيصال بالياء ما يلي:

أولا: قراءة الإيصال مصدر كالإصباح والإمساء، وفعلها آصلَ بمعنى دخل في وقت الأصيل، وهو وقت العشي قبل الغروب، يقال: آصلنا ونحن مؤصلون، فيكون الفعل آصل على وزن أفعل كأعصر:دخل في العصر،وأعتم:دخل في العتمة.

ثانيا: قد قوّى من قبول هذه القراءة مطابقتها للغدوّ على القول بإفراده ومصدريته؛ إذ إن الإيصال مصدر؛ فيكون قد قابل مصدرا (الغدوّ) بمصدر (الإيصال).

ويتتبع كلام أهل العلم تستوقف البحثَ أمور ثلاثة:

الأول: توجيه القراءة وتناغمها السياقيّ.

الثاني: عزو القراءة ونظائرها في القرآن الكريم.

الثالث: الحكم بشذوذ القراءة.

أولا: **توجيه القراءة وتناغمها السياقي**

من توجيهات العلماء لقراءة الإيصال يظهر أن لها –دون أدنى شك– وجها في العربية وذلك أنها مصدر آصلنا أو أصلنا بمعنى دخلنا في وقت الأصيل كما يقال: أصبحنا وأظهرنا وأعصرنا أي دخلنا في وقت الصباح، والظهر، والعصر...إلخ.

ويتراءى أيضا تناغم هذه القراءة وتطابقها مع السياق الداخلي اللغوي للآية؛ إذ إن هناك قراءة الجمهور على الجمع (الآصال) وهناك

الرواية الأخرى على المصدرية(الإيصال)، و المعطوف عليه واحد هو: (الغدوّ).

ويتجلى لك هذا التطابق الداخلي من نصوص ثلاثة- علاوة على نصّي الزمخشري وأبي حيان السابقين-:

النص الأول: قال البيضاوي:"(بالغدو والآصال) بأوقات الغدو والعشيات، وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل وهو مطابق للغدوّ"(١).

النص الثاني: قال السمين الحلبي:" الغدوّ إمَّا جمع غُدْوة كقمح وقمحة، وعلى هذا فيكون قد قابل الجمع بالجمع المعنوي. وقيل: هو مصدرٌ فيقدَّرُ زمانٌ مضاف إليه حتى يتقابل زمان مجموع بمثله، تقديره: بأوقات الغدو. والآصال: جمع أُصُل، وأُصُل جمع أصيل فهو جمع الجمع . "(٢)

النص الثالث: قال الألوسي:" بالغدو جمع غدوة، والغدُوّ نقيض الرواح وقد غدا يغدو غُدوا، وقوله تعالى: بالغدو أي بالغدوات جمع غدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس فعبر بالفعل عن الوقت...، وهو نص في أن الغُدُوّ مصدر لا جمع وعليه فقد يقدر معه مضاف مجموع أي أوقات الغدو ليطابق قوله -سبحانه-: والآصال وهو كما قال الأزهري جمع أُصُل، وأصل جمع أصيل أعني ما بين العصر إلى غروب الشمس فهو جمع

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ط.دار إحياء التراث العربي- بيروت، الأولى د.ت ٤٨/٣، ٤٧

(٢) الدر المصون ٥٥٣/٥، ٥٥٢

الجمع....وقرأ أبو مِجْلَز والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل وهو مطابق لغدوّ بناء على القول بإفراده ومصدريته."[١]

وبتدبر النصوص الخمسة يظهر أنك أمام تخريجَيْن مُحتمَلَيْن للتطابق المعنوي بين (الغُدوّ) وبين القراءتين المرويتين(الآصال-الإيصال):

التخريج الأول: إما أن يكون الغدوّ جمعا لغُدْوَة، وتفسر على معنى الغَدَوات[٢]، وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس؛ ومن ثم تتحقق المطابقة بينها وبين قراءة الجمهور بالجمع: (والآصال).

التخريج الثاني: وإما أن يكون الغُدوّ مصدرا لا جمعا، وعندئذ لابد من تقدير زمان مجموع مضاف إلى الغدوّ هكذا: أوقات الغدوّ؛ حتى يتطابق زمانٌ مجموعٌ(أوقات الغدوّ) بزمان مجموع الذي هو قراءة الجمهور (الآصال).

وإما أن يكون الغدوّ مفردا مصدرا دون تقدير، وتعطف عليه الرواية الأخرى على المصدرية(الإيصال) فنكون قد قابلنا مصدراً صريحا (الغدوّ) بمصدر صريح (الإيصال)؛ ومن ثم يتحقق التناسب في السياق اللغوي للآية، مع عدم الإغفال عن تناد معنوي آخر عبر آية الأعراف التي يخاطَبُ فيها النبي (صل الله عليه وسلم) والمسلمون لبيان آداب الذكر، والحث على دوامه واتصاله وعدم الغفلة عنه مستخدما التعبير القرآني مصادر مختلفة متوالية تجسد آداب الذكر ومواقيته (تضرعا-خيفة-الغدوّ-الإيصال).

---

(١) ينظر: روح المعاني ١٥٤/٩، ١٥٥

(٢) يقول الأخفش: وقال (بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) وتفسيرها "بالغَدَواتِ" كما تقول: "أتيتُك طلوعَ الشَمْسِ" أي: في وقتِ طلوعِ الشمس" معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تحقيق د. هدى قراعة، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة-الأولى ١٩٩٠م ٣٤٤/١، وقارن بالكشاف ٥٤٨/٢

ثانيا: عزو القراءة ونظائرها في القرآن الكريم

تكررت الكلمة في القرآن مقترنة بالغدوّ ثلاث مرات – كما سبقت الإشارة إليه– في الأعراف/٢٠٥، وفي الرعد/١٥، وفي النور/٣٦.

أما موضع الأعراف وهو موضع الشاهد معنا في البحث؛ فقد نُسبت قراءة الإيصال فيه إلى أبي الدرداء وأبي مزلج في مختصر ابن خالويه فقط(١)، أما كل كتب توجيه القراءات الأخرى وكتب الأعاريب والتفاسير فلم تنسب قراءةَ المصدر لأبي الدرداء البتة، ولم يرد له ذكر فيها؛ حيث عزاها أبو جعفر النحاس، وابنُ جني، ومكي، وابن عطية، والكرماني والقرطبي وأبو حيان والحلبي(٢) إلى أبي مزلج فقط.

وأما موضع الرعد فقد عزا ابن خالويه قراءة الإيصال فيه إلى عمران بن حدير فقط، ونسبها ابن جني وابن عطية والكرماني وأبو حيان إلى أبي مزلج فقط.(٣)

وأما موضع النور فقد نسب ابن خالويه وابن عطية والقرطبي وأبو حيان قراءة الإيصال فيه إلى أبي مزلج فقط، ونسبها ابن جني والكرماني إلى سعيد بن جبير وأبي مزلج.(٤)

---

(١) ص٥٣، وينظر: معجم القراءات ٢٥٤/٣

(٢) راجع على الترتيب: إعراب أبي جعفر النحاس١٧٣/٢، المحتسب ٢٧١/١، مشكل إعراب القرآن ٣٤٤/١، المحرر الوجيز ٤٩٤،٤٩٥/٢ ، شواذ الكرماني ص ٢٠١ ، تفسير القرطبي ٤٣٤،٤٣٥/٩

(٣) راجع على الترتيب: مختصر ابن خالويه ص٧١، المحتسب٣٥٦/١، المحرر الوجيز٣٠٦/٣، شواذ الكرماني ص٢٥٦. وينظر أيضا: معجم القراءات ٤٠١/٤

(٤) راجع على الترتيب: مختصر ابن خالويه ص١٠٤، المحرر الوجيز ١٨٦/٤، القرطبي ٢٨٧/١٥، البحر المحيط ٤٢١/٦، المحتسب ١١٣/٢، شواذ الكرماني ص٣٤٣. وينظر أيضا: معجم القراءات ٢٧٥/٦

من خلال ما سبق يظهر ما يلي:

١- لم يرد عزو قراءة الإيصال لأبي الدرداء إلا في مختصر ابن خالويه، وفي موضع آية الأعراف فقط.

٢- تواتر العلماء وإجماعهم على عزو قراءة الإيصال في المواضع الثلاثة إلى أبي مزلج.

٣-عزا ابن خالويه الإيصال في آية الرعد إلى عمران بن حدير فقط، ولم يُشر إلى ذلك أحد من العلماء غيرُ ابن خالويه لا في الرعد ولا في الموضعين الآخرين.

٤-عزا ابن جني والكرماني الإيصال في آية النور إلى سعيد بن جبير مع أبي مزلج.

٥- بناء على كل ما سبق يميل البحث إلى القول بأن نسبة ابن خالويه فقط قراءة الإيصال في موضع الأعراف فقط إلى أبي الدرداء فيه نظر؛ لعدم ورود أدنى ذكر له في المصادر القرائية الأخرى، والأرجح عزو القراءة إلى أبي مزلج.

ثالثا: الحكم بشذوذ القراءة

ذكر ابن خالويه أن القراءة بالمصدر(الإيصال) في مصحف ابن الشُّمَيْط[١]، وابن الشُّميط هو أحمر بن شميط- من أصحاب المختار الثقفي، وهو من المجهولين الذين نسبت المصاحف إليهم[٢]؛ ومن ثم فلا قبول لهذا المصحف المعزوّ إليه ولا لما يُنسب إليه.

(١) المختصر ص٥٣، وينظر: معجم القراءات ٢٥٤/٣ ، ٤٠١/٤ ، ٢٧٥/٦

(٢) تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ط.نهضة مصر، الثالثة ٢٠٠٧م ص١٦٠

وقد تواتر القراء جميعا والمفسرون وأصحاب الأعاريب على أن قراءة الجمهور على الجمع(الآصال)، ولم يرد غير هذه القراءة في قراءة من القراءات العشر، وإنما وردت قراءة المصدر في كل كتب الشواذ وفي مقدمة ذلك مختصر ابن خالويه، والمحتسب.

وأضف إلى ما سبق أنه صرح غير واحد من العلماء بشذوذ قراءة (الإيصال)، حيث يقول أبو البركات بن الأنباري(ت٥٧٧هـ):"قوله تعالى (بالغدو والآصال) الآصال جمع أصُل، وأصُل جمع أصيل وهو العشيّ، وقيل: أُصُل واحد كطُنُب. وقرئ في الشواذ: والإيصال بكسر الهمزة، مصدر أصلنا أي دخلنا في الأصيل. كما يقال أصبحنا أي دخلنا في الصباح، وأظهرنا أي دخلنا في وقت الظهر."(١)

(١) البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري٣٨٢/١ ، وفي حاشية الشهاب:"(قوله وقرئ والإيصال إلخ) أي بالأفعال بالكسر مصدر أصل إذا دخل في وقت الأصيل وهو والعشي آخر النهار، وهذه قراءة أبي مجلز واسمه لاحق بن حميد السدوسي البصري وهي شاذة. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ط. دار صادر–بيروت ٢٤٩/٤

خامسا: ما روي مجموعا

✍- الشاهد القِرائي:

قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ وقال في السجدة:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء وغيره في الموضعين على الجمع بالألف والتاء هكذا: قُرّات(١).

✍- توثيق القراءة:

قال ابن خالويه في شواذ سورة الفرقان: "(قرات أعين): أبو هريرة وأبو الدرداء وابن مسعود ورواه أبو هريرة عن النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم."(٢)

وقال في شواذ سورة السجدة:" (من قرات أعين): النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة وأبو الدرداء"(٣).

---

(١) لاحظ أن الكلمة قد وردت في موضع ثالث في سورة القصص/٩:﴿ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك...﴾، ولم يرد فيه اختلاف بين الإفراد والجمع، وإنما أجمع القراء فيه على الإفراد وعلى الرسم بالتاء المبسوطة(ت). ينظر: معجم القراءات ١٠/٧

(٢) مختصر ابن خالويه ص١٠٧، وذُكرت القراءة لآية الفرقان أيضا- دون نسبة- في معاني القرآن للفراء، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م ٢٧٤/٢، وفي الكشاف ٣٧٣/٤ وفي شواذ الكرماني ص٣٥٢، وفي شواذ العكبري ٢٠٧،٢٠٨/٢، لكنها وردت معزوة للقراء الثلاثة الذين ذكرهم ابن خالويه في البحر المحيط ٤٧٤/٦ ، وفي الدر المصون ٥٠٥/٨، وفي روح المعاني ٥٢/١٩. وانظر أيضا للاستزادة: معجم القراءات ٣٨٦/٦

(٣) مختصر ابن خالويه ص١١٩، وذُكرت قراءة آية السجدة أيضا- دون نسبة- في الكشاف ٣٤/٥ وفي شواذ العكبري ٢٩٧/٢، وفي إرشاد العقل السليم ٨٥/٧، لكنها وردت معزوة لأبي هريرة فقط في معاني الفراء ٣٣٢/٢، وفي معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٤، ووردت معزوة لأبي هريرة وأبي الدرداء في المحرر الوجيز ٣٦٣/٤، وفي الدر المصون٨٧/٩ -كابن خالويه- مع زيادة ابن مسعود، ودون نسبتها للنبي، ووردت معزوة لأبي هريرة وابن مسعود فقط في القرطبي ٣٤/١٧ ، ووردت مروية عن الأعمش في الإتحاف ٣٦٧/٢، وكذا في القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ القاضي ص ٧٤

وقال ابنُ جني في آية السجدة: "ومن ذلك قراءة النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم وأبي هريرة وأبي الدرداء وابن مسعود وعون العُقَيلي (قرات أعين)."(١)

✍- التوجيه:

وجّه الفراء قراءتي الإفراد والجمع في آية الفرقان مرجِّحا الإفراد فقال: " وقوله (قُرَّةَ أَعْيُنٍ)... ولو قُرئت : قرّاتِ أعين لأنهم كثير كان صوابا. والوجه التقليل (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) لأنّه فعل والفعلُ لا يكاد يجمع ألا ترى أنه قال: ﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾ فلم يجمعه وهو كثير. والقرّة مصدر تقول: قرّت عينك قُرّة.(٢)

وقال أبو جعفر النحاس موجها –بإيجاز– قراءتي الإفراد والجمع في آية الفرقان:"(قرة أعين) لم يجمع لأنه مصدر، ولو جُمع يراد به اختلاف الأجناس لجاز"(٣).

وفي آية السجدة شرح ابنُ جني علةَ إفراد قراءة الجمهور(قرة)، ووجّه أيضا جمعَها بالألف والتاء(قرات) كما رُوي عن بعض الصحابة فقال: " القُرّة المصدر، وكان قياسه ألا يجمع؛ لأن المصدر اسم جنس، والأجناس أبعد شيء عن الجمعية لاستحالة المعنى في ذلك، لكن جُعلت القُرّةُ هنا نوعا

(١) المحتسب ١٧٤/٢، وأورد الكرماني أيضا ص٣٨١ القراء الأربعة الذين ذكرهم ابن جني، وكذا أوردهم أبو حيان ١٩٧/٧، وأضاف أنها رواية عن أبي جعفر والأعمش، وكذا ذكرهم جميعا الألوسي ١٣٢/٢١ وأضاف إلى ما أضافه أبو حيان أنها رواية عن أبي عمرو. وانظر للاستزادة: معجم القراءات ٢٣٠/٧

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٧٤/٢

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٩/٣

فجاز جمعُها كما تقول: نحن في أشغال، وبيننا حروب، وهناك أحزان وأمراض، وحسَّن لفظ الجمع هنا أيضا إضافة "القرّات" إلى لفظ الجماعة، أعني "الأعين"؛ فقولنا إذًا: أشغال القوم أشبه لفظا من أشغال زيد، وكلاهما صحيح، غير أن فيه ما ذكرته. وليس ينبغي أن يُحتقر في هذه اللغة الشريفة تجانسُ الألفاظ؛ فإن أكثرها دائر عليه في أكثر الوقت."(١)

وقال العكبري موجها الجمع في آية الفرقان:" قوله تعالى(قرة أعين)، يُقرأ (قرات) بألفٍ وكسر التاء، على الجمع، سألوا أن يكثِّر لهم من ذلك"(٢)، وكذا وجه الجمع في آية السجدة فقال:" قوله تعالى (قرة) يُقرأ بألف على الجمع، لاختلاف أنواعها، وإضافتها إلى الجمع"(٣)

ووجه القرطبي الإفراد فقط في آية الفرقان فقال:" ووحّد" قرة" لأنه مصدر، تقول: قرت عينك قرة."(٤)، بينما وجّه قراءتي موضع السجدة نقلا عن المهدوي(٥) فقال:" ومن قرأ:(قرات أعين) فهو جمع قرة، وحسُنَ الجمع فيه لإضافته إلى جمع، والإفراد لأنه مصدر، وهو اسم للجنس."(٦)

(١) المحتسب ١٧٤/٢،
(٢) إعراب القراءات الشواذ ٢٠٧،٢٠٨/٢
(٣) السابق ٢٩٧/٢
(٤) الجامع ٤٨٩/١٥
(٥) وقد راجعت شرح الهداية للمهدوي فلم أجد إشارة لقراءة الجمع(قرات) في أي من سورتي الفرقان أو السجدة، ولعل القرطبي نقل ذلك عن تفسير للمهدوي أو أي مؤلف لم يصلنا.
(٦) الجامع ٣٤،٣٥/١٧

✍- التحليل والمناقشة:

مما سبق يتبين لك أن علماءنا قد أكدوا قياسيةَ إفرادِ (قرة) في موضعي الفرقان والسجدة، وهذا هو ما عليه جمهور القراء[1]، وهو الوجهُ أي الرأي الراجح عند الفراء، ومرجع ذلك أنه مصدر على وزن(فُعْلة)، والمصدر اسم جنس، والأجناس أبعد شيء عن الجمعية لاستحالة المعنى في ذلك تقول: قرتْ عينُك قرة.

وكما أن الفعلَ لا يُجمع إذا كان فاعله جمعا، فكذلك المصدر لا يجمع؛ لأن المصدر من الأسماء التي تعمل عمل الفعل كقولك: عجبت من ضرب الطلاب زيدا؛ فالطلاب فاعل لضرْب، وضرْب مفرد والطلاب جمع.

أما عن قراءة الجمع بالألف والتاء (قرات) فقد وجّهها علماؤنا أيضا في الموضعين مستحسنين إياها ومجيزين جمعها؛ لما يأتي:

١- أن القرة في الآيتين نوعٌ فجاز جمعُها لكثرتها واختلاف أنواعها كأشغال وحروب وأحزان وأمراض؛ فالجمع جائز إن أريد به اختلاف الأجناس أو الأنواع، وهم قد سألوا ربهم- في موضع الفرقان- أن يكثِّر لهم من ذلك.

٢- حسُن الجمع أيضا في الموضعين لإضافته إلى لفظ الجماعة(أعين) مما حقق التجانس والتناغم بين المضاف والمضاف إليه.

من خلال العرض السابق يتبين أن الأصل إنما هو الإفراد لأن(قرة) مصدر، والمصدر اسم جنس، والأجناس بعيدة عن الصفة الجمعية كما بينا

(١) ينظر: البحر المحيط ٤٧٤/٦، معجم القراءات ٢٣٠/٧

من قبل، وهذا هو ما نص عليه العلماء من أن قراءة الجمهور والناس كلهم على الإفراد(١)، لكن قراء الجمع انقسموا فريقين:

الفريق الأول: ذكرَ قراءة الجمع دون توجيهها ومنهم: الزجاج في موضع السجدة، والكرماني في موضع السجدة(٢)، والسمين الحلبي في الموضعين، والألوسي في موضع الفرقان، وصاحب الإتحاف في موضع السجدة(٣).

الفريق الثاني: وجّه قراءة الجمع بالألف والتاء(قرات)؛ فعلاوة على من ذكرت نصوصهم كالفراء والنحاس في آية الفرقان، وابن جني والقرطبي في موضع السجدة، والعكبري في الموضعين، فقد وجّه قراءةَ الجمع أيضا أبو السعود في موضع السجدة، والألوسي في موضع السجدة، ومن المحدثين الشيخ القاضي في موضع السجدة(٤).

---

(١) كما قال الزجاج في موضع السجدة: "وقرأ الناس كلهم من قرة أعين إلا أباهريرة فإنه قرأ من قرات أعين، ورواه عن النبي" معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٤، وكذا قال صاحب البحر في موضع الفرقان: وقرأ عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة قرات على الجمع، والجمهور على الإفراد"، وهذا فحوى نسبة الجمع إلى ثلاثة أو أكثر من الصحابة والتابعين.

(٢) راجع: معاني الزجاج ٢٠٧/٤، شواذ الكرماني ص٣٨١، وجوز الكرماني في موضع الفرقان الجمعَ دون توجيه فقال:"ولو قرأت قرات أعين بالجمع جاز"ص٣٥٢

(٣) راجع: الدر المصون٥٠٥/٨، ٨٧/٩، روح المعاني٥٢/١٩، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٧/٢، ولم يذكر البنّا القراءة بالجمع ولم يُشر إليها أصلا في موضع الفرقان.

(٤) راجع: إرشاد العقل السليم ٨٥/٧ وفي موضع الفرقان لم يُشر أبو السعود إلى قراءة الجمع أصلا، روح المعاني١٣٢/٢١، القراءات الشاذة ص٧٤ ولم أجد لقراءة الجمع ذكرا عند القاضي في موضع الفرقان ، لكنه قال في موضع السجدة: "وقرأ الأعمش(من قرات أعين) بالجمع بالألف والتاء وجمعت قرة لاختلاف أنواعها وحسّن جمعها إضافتها لأعين" .

وهذا الجمعُ من العلماء الموجّهين لقراءة الجمع (قرات) لم يخرج عن السببين الذين ذكرتهما عند التحليل وهو جواز الجمع لأن (القرة) في الآيتين نوع، وقد قصد منها اختلاف الأجناس، وحسّن هذا الجمع وقواه إضافتها إلى الجمع، وهذا يؤكد أن للقراءة وجها ومسوغا من العربية رغم شذوذها.

وهناك من ارتأى –تعليقا على آية السجدة– أنه" يجوز على قلة جمع المصدر إذا تعددت أنواعه أو أضيف إلى الجمع".(١)

ويدعم ذلك الوجه اللغوي من جواز الجمع ما يلي:

أولا: نسبة القراءة إلى عدد كبير من الصحابة والتابعين والقراء كأبي هريرة وأبي الدرداء وابن مسعود وعون العقيلي وكذا روايتها عن أبي عمرو وأبي جعفر والأعمش.

ثانيا: تجانس هذا المعنى الذي حُمّلت عليه القراءة مع سياق آيتي الفرقان والسجدة الدال على الكثرة الكاثرة والخير الوفير الذي يطلبه عباد الرحمن وينالونه؛ ففي آية الفرقان يسأل عبادُ الرحمن ربهم أن يكثّر لهم من الخير في أزواجهم وذرياتهم حتى يصيروا قرات أعين لهم، فالقرة بمثابة الأعمال، أي يارب هب لنا منهم أعمالا صالحة يدخل علينا السرور والرضا.

وفي آية السجدة تكون إجابة الرحمن دعاء عباده الذي سبق في سورة الفرقان؛ حيث تبين الآيات ما أعده الله لعباده المؤمنين، المتواضعين، القائمين، المتصدقين؛ إذ إن العقول قاصرة عن إدراك هذا الجزاء، بل لن تبلغه تخيلات الواصفين، لأن الله أعد لعباده هؤلاء أشياء نفيسة –لا حصر لها ولا حدّ– تقر بها أعينهم وتسعد وترضى، وفي هذا المعنى الذي لا

(١) أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية ٢/٧٥٣

تتناهى إليه دلالات كلمات اللغة، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ثالثا: أورد القرطبي نصا للأنباري يرى فيه موافقة رسم قراءة الجمع (قرات) للرسم العثماني، على اعتبار أن تاء الكلمة قد ترسم تاء مبسوطة (قرت) إجراء للوصل مجرى الوقف، ثم تحذف الألف كما تحذف كثيرا رسما لا نطقا- يقول القرطبي:" وقال أبو بكر الأنباري: وهذا غير مخالف للمصحف، لأن تاء (قُرَّةِ) تكتب تاء لغة من يجري الوصل على الوقف، كما كتبوا (رَحْمَتَ اللَّهِ) بالتاء. ولا يستنكر سقوط الألف من(قرات) في الخط وهو موجود في اللفظ، كما لم يستنكر سقوط الألف من السماوات وهي ثابتة في اللسان والنطق."[(١)]

وقفة مع رأي الأنباري(ت٣٢٨هـ):

لكلام القرطبي المنقول عن أبي بكر الأنباري وجهٌ، ويدعمه رسم الكلمة نفسها عند جميع القراء بالتاء المبسوطة في موضع القصص/٩ : ﴿ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك...﴾، ولكن ينبغي ألا نغفل عن الآتي:

أولا: القراءة سنة متبعة إنما تثبت أولا بالنقل والرواية، وعنصر الرواية-دون شك- أسبق تاريخيا من عنصر الرسم، فلو أن الرسم يحتمل قراءة الجمع بالألف والتاء -كما رأى وأوّل ابن الأنباري- ما رواها إلينا

(١) الجامع ٣٤،٣٥/١٧ وقد بحثت عن مصدر النص في كتب أبي بكر الأنباري فلم أعثر عليه لاسيما في كتابيه: مرسوم الخط تحقيق د.حاتم الضامن-٢٠٠٨م، المذكر والمؤنث تحقيق الشيخ/محمد عضيمة، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٩٩م

جمهور القراء المعتد بتواترهم وبصحة سندهم على الإفراد في المواضع الثلاثة (الفرقان-القصص-السجدة)، لأن عنصر الرواية وعنصر احتمالية موافقة الرسم متعانقان متلازمان متكاملان.

ثانيا: لو افترضنا الموافقة التقديرية بين قراءتي الإفراد والجمع -كما زعم ابن الأنباري-، فإن ركن السند وصحته هو الركن الأساسي في أركان صحة القراءة وقبولها؛ ومن ثم لن تخرج القراءة بالجمع عن دائرة الشذوذ، وينبغي أن تعالج بالتالي في ضوء الرواية والسند.

ثالثا: عدم تواتر القراءة لا ينافي البتة جواز قبولها، والاستشهاد بها على جواز جمع المصدر إن قُصد منه الكثرة والتنوع واختلاف الأجناس ، ويحسّن هذا الجمع إضافته إلى جمع.

رابعا: نقل ابن حجر في موضع آية السجدة رسمها بالهاء على الوحدة في المصحف الإمام فقال:" قال أبو عبيد: ورأيتها في المصحف الذي يقال له الإمام قرة بالهاء على الوحدة وهي قراءة أهل الأمصار."[(١)]

(قرة) ونظائرها في القرآن الكريم:

وردت الكلمة في مواضع ثلاثة في القرآن هي على الترتيب كما يلي:

الفرقان/٧٤: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرّةَ أعين...﴾.

القصص/٩ :﴿ وقالت امرأتُ فرعون قرت عين لي ولك...﴾.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط.المكتبة السلفية د.ت، كتاب التفسير، باب(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) ٥١٦/٨

السجدة/١٧:﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرّةِ أعين...﴾.

وتلاحظ أنها رسمت بالتاء المبسوطة على الإفراد(قرت) في موضع القصص عند القراء جميعا، ورسمت بالتاء المربوطة على الإفراد(قرة) في موضعي الفرقان والسجدة كما هو عند الجمهور، وعلى الجمع(قرات) كما هو عند أبي هريرة وأبي الدرداء وغيرهما، وقد يستوقفك الاختلاف المروي في موضعي الفرقان والسجدة فقط، وأنه لم يرد منه شيء في موضع القصص[١] ولكن الإجابة واضحة فيما ذكرناه من قبل من أن مقصود المصدر في موضعي الفرقان والسجدة الكثرة والتنوع، وقوى ذلك إضافتها إلى الجمع(أعين)، وهذا ما لا يتأتى في موضع القصص حيث الحديث عن سيدنا موسى دون قصد الكثرة أو اختلاف الأجناس، وقوّى توحد القراءة وإجماع القراء على الإفراد هناك في القصص إضافة الكلمة(قرت) إلى (عين) المفردة أيضا.

(١) يقول د. عبد اللطيف الخطيب في آية القصص:"وقرأ أبو هريرة(قرات أعين) وهي قراءة أبي الدرداء وابن مسعود بالجمع، وقد رواه عن النبي في موضعين من القرآن ، ولم يأت هنا في سورة القصص شيء، فقد تقدمت مثل هذه القراءة في سور الفرقان الآية/٧٤، وتأتي في سورة السجدة الآية /١٧، ومع ذلك فإنه لم يأت في سورة القصص شيء فهل يُعقَل أن تكون هذه القراءة في موضعين وألا تكون في الثالث منها؟"راجع معجم القراءات ١٠/٧

المبحث الثاني: في صيغ الأفعال

أولا: ما روي على صيغة (فَعَلَ)

✍- الشاهد القِرائي[١]:

الشاهد الأول:(لتخرج الناس) في قول الله:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ...۝١ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء (لِيَخْرُجَ الناسُ) بالياء على الغيبة والناس رفع به.

الشاهد الثاني: (أخفيها) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا...۝١٥ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء(أَخْفِيهَا) بفتح الهمزة.

الشاهد الثالث: (جنة) في قوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء (جنّهُ) بالهاء على الفِعْلية.

✍- توثيق القراءة:

الشاهد الأول:

قال ابن خالويه: "لِيَخْرُجَ الناس رواية عن ابن عامر وأبي الدرداء."[٢]

وقال الكرماني:"...وعن ابن عِياض (لِيَخرُج) بالياء وفتحه وضم الراء، (الناسُ) بالرفع."[٣]

---

(١) الشواهد على الترتيب القرآني: إبراهيم/١، طه/١٥، النجم/١٥

(٢) المختصرص٧٢، وينظر، معجم القراءات٤/٤٤٨،٤٤٧

(٣) شواذ الكرماني ص٢٥٩، والقراءة دون نسبة في الكشاف٣/٣٦٠، ،وفي شواذ العكبري١/٧٣١،والبحر المحيط ٥/٣٩٣، والدر المصون ٧/٦٤، وروح المعاني١٣/١٨٠

الشاهد الثاني:

في معاني الكسائي:" قوله تعالى:(أكاد أُخفيها) حدث الكسائيُّ عن محمد بن سهل عن وقاء عن سعيد بن جبير أنه قرأ أَخفيها بفتح الألف من خفيت."(١)

قال ابن خالويه: "أكاد أَخفيها: سعيد بن جبير وأبو الدرداء."(٢)

وقال صاحب المحتسب: "ومن ذلك قراءة سعيد بن جبير، ورويت عن الحسن ومجاهد: أَخفيها بفتح الألف."(٣)

الشاهد الثالث:

قال ابنُ جني:" قرأ: جنَّهُ المأوى بالهاء عليٌّ، وابنُ الزبير –بخلاف–، وأبو هريرة وأنس –بخلاف– وأبو الدرداء وزِرّ بن حُبيش، وقَتادة ومحمد بن كعب."(٤)

---

(١) معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي(ت١٨٩هـ) أعاد بناءه وقدم له د.عيسى شحاتة عيسى، نشر: دار قباء ١٩٩٨م ص١٩٣، والنص منسوب للكسائي في معاني الفراء ١٧٦،١٧٧/٢ وعبارة الفراء: حدثني الكسائي عن محمد بن سهل...، وعلاوة على معاني الكسائي والفراء فقد نسبت القراءة إلى ابن جبير فقط في تفسير الطبري ٣٦،٣٧/١٦، وإعراب النحاس ٣٥/٣، وتفسير القرطبي١٤/٣٥-٣٧، ونسبت في شواذ الكرماني ص٣٠٦ إلى ابن جبير ومجاهد.

(٢) مختصر ابن خالويه ص ٩٠، وكذا نسبت في الكشاف ٧٣/٤ إليهما، أما في البحر المحيط ٢١٨/٦ والدر المصون ٢١/٨ فقد نسب الفتح إلى أبي الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد، أما الألوسي١٦/١٧٢ فقد عزا القراءة إلى أبى الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد وذكر أنها رواية عن ابن كثير وعاصم. وراجع: معجم القراءات ٤٢٠/٥ وما بعدها

(٣) ٤٧/٢ وقد نسبت القراءة في المحرر الوجيز ٤٠/٤ إلى ابن كثير والحسن وعاصم، وقد وردت دون عزو في معاني الزجاج ٣٥٢،٣٥٣/٣، وفي مفاتيح الغيب٢٢/٢٢ وفي إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٦٧،٦٨/٢، وفي تفسير البيضاوي٢٤/٤

(٤) المحتسب ٢٩٣/٢ ، وفي مختصر ابن خالويه ص١٤٧ لم يذكر قراءة(جنّهُ)، وإنما ذكر رواية(عنده جنةُ المأوى) وعزاها إلى كثير ممن هو مذكور في المحتسب وهم:(علي وابن الزبير وأبو هريرة وأنس وزر ومحمد بن كعب) ولعل الرواية المكتوبة خطأ والصواب هي قراءة: "عندها جنّهُ". =

✍- التوجيه:

الشاهد الأول: قرأ الجماعةُ(لِتُخرج الناسَ)على الخطاب للنبي بالتاء ونصب الناس، وعن أبي الدرداء وابن عياض ورواية عن ابن عامر (ليَخرج الناسُ) "بفتح الياء وضم الراء ورفع (الناس) على تسمية الفاعل وإسناده إلى الناس"(١).

الشاهد الثاني: (أ) قراءة الجمهور(٢):

قرأ جمهورُ القراء (أكاد أُخفيها) بضم الهمزة مضارع (أَخفى) و(أخفى) من حروف الأضداد -كما وجّه أبو عبيدة وأبو الطيب اللغوي وحكي عن قطرب، وكذا وجهه ابن جني والعكبري ونقله القرطبي(٣)-: المعنى الأول كتمَ وستر واللام متعلقة بآتية، وأكاد أخفيها جملة اعتراضية؛ أي: إن الساعة آتية لتجزى كل نفس بما تسعى. والثاني بمعنى أظهرَ وتكون

= وقد عُزيت(جنّهُ) في المحرر الوجيز ١٩٩/٥ إلى المذكورين أنفسهم في المحتسب، ونسبت القراءة في الكشاف ٦٤٠/٥ إلى: علي وابن الزبير وجماعة، وفي شواذ الكرماني ص٤٥١: علي وابن الزبير وأنس وأبو الدرداء وزر بن حبيش، وفي القرطبي ٢٧/٢٠: علي وأبو هريرة وأنس وأبو سبرة الجهنيُّ وابن الزبير ومجاهد، وفي البحر ١٥٧/٨: علي وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس وزر ومحمد بن كعب وقتادة. وذكرتْ دون عزو في معاني الفراء ٩٧/٣ ، وفي معاني الزجاج ٧٣/٥، وفي إعراب النحاس ٢٧١/٤، وعند الرازي ٢٩٢/٢٨،وفي إعراب العكبري ٥٢١/٢

(١) شواذ العكبري ٧٣١/١، وينظر: معجم القراءات ٤٤٨/٤،٤٤٧

(٢) في هذا الشاهد أوردت توجيه قراءة الجمهور(أُخفيها)، قبل توجيه موضع الشاهد (أَخفيها) بفتح الهمزة؛ حتى يستبين الأمر وينجلي عند التحليل والدراسة؛ فالآية من المشكلات كما ذكر العلماء.

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت٢١٠هـ)،تعليق:د. محمد فؤاد سزكين، نشر: الخانجي بمصر ١٦/٢، الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي(ت٣٥١هـ) تحقيق د. عزة حسن، ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الثانية ١٩٩٦م ص ١٦٦،١٦٥ ، المحتسب ٤٧،٤٨/٢، إعراب القراءات الشواذ ٦٨/٢، القرطبي ٣٦/١٤

اللام في(لتجزى) متعلقة بـــ(أُخفيها) أي: أظهرها ليكون الجزاء، فالجزاء إنما يكون مع الظهور.

وذكر الطبري والزمخشري مجيء الإخفاء على معنيي الإظهار والكتمان، وأن المعروف في كلام العرب والأولى بالصواب هو الإخفاء على معنى الكتمان وتعمية الوقت، وبهذا المعنى أوّل الطبري والزمخشري قراءة الضم على معنى الستر وعدم الإظهار.(١)

وكذا ذهب ابن عطية والرازي إلى أن حمل الإخفاء على التضاد قول مختل، وأن حمل الآية على الإظهار باطل، وأن (الإخفاء) في الآية بمعنى الستر وإبهام وقت الساعة، و(أكاد) لمقاربة ما لم يقع.(٢)

وقيل إن أخفى ليس من باب الأضداد وإنما من باب السلب وهمزتها للإزالة، ومعنى: أُخفيها: أزيل خفاءها(٣) مثل قولك: أعجمت الكتاب أي: أزلتُ عجمته، ولكن المعنى يتحدد بعد ذلك بتحديد معنى الخفاء هل هو بكسر الخاء أم بفتحها!

فورد عن أبي علي أن: أُخفيها بمعنى أزيلُ عنها خِفاءها – بكسر الخاء– وهو سترها، كخِفاء الأخفية (الأكسية) بكسر الخاء، وهو ما تُلف به

(١) راجع: جامع البيان ٣٦/١٦، الكشاف ٧٣/٤

(٢) ينظر المحرر الوجيز٤٠/٤، مفاتيح الغيب٢٢/٢٢

(٣) ولكن أبا البركات بن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن١٣٩/٢ استوحى من همزة السلب دلالة لا علاقة لها بالسلب والإزالة فقال:" أُخفيها ، فيه وجهان. أحدهما أن تكون الهمزة فيه همزة السلب، أي: أريد إخفاءها، كما تقول: أشكيت الرجل، إذا أزلتُ شكايته..."فالإرادة عكس الإزالة ولا أعرف لذلك تفسيرا إلا أن يكون تصحيفا أو سقطا.

القِربة فإذا زال عنها سترها ظهرت، ويكون المعنى: أنها لتحقُّق وقوعِها وقُرْبِها أكادُ أُظْهِرُها لولا ما تَقْتضيه الحكمةُ من التأخير.(١)

وورد عن أبي حيان عكس ذلك في معنى السلب؛ حيث ذكر أن الهمزة للإزالة أي إزالة الخَفاء والخَفاء من خفي بمعنى ظهر؛ ومن ثم فأخفى بمعنى أزال الظهور، وإذا أزلت الظهور صار للستر، ويكون معنى الآية أسترُ وأحجبُ وقت الساعة ؛ فإني لِشدَّةِ إبهامها أكاد أُخْفيها فلا أُظْهِرُها البتةَ ، وإن كان لا بد من إظهارِها.(٢)

(ب) قراءة الفتح

فتح الهمزةَ أبو الدرداء وسعيد بن جبير ورُويت عن غيرهما هكذا: (أَخْفيهَا) مِن خفاهُ مضارع خَفَى يَخْفِي وهو موضع الشاهد.

وجّه كثير من العلماء خفيتُ بمعنى أظهرتُ لا غير، وخفاه إذا أظهره، أي: قَرُب إظهارُ الساعة لينال كلٌّ جزاءه ثوابا أو عقابا، وتكون لامُ (لِتُجْزَى) على هذه القراءة متعلقةً بالكلمة التي قبلها(أَخفيها)؛ أي: أظهرها لِتُجْزَى كلُّ نفس، وهذا هو المشهور، وهو توجيه جل العلماء ومنهم الطبري والزجّاج وابن جني والزمخشري وابن عطية والكرماني والعكبري والقرطبي والبيضاوي وأبو حيان والحلبي والألوسي(٣).

---

(١) قاله أبو علي الفارسي، وذكره عنه ابن جني في محتسبه٢/٤٧، والقرطبي١٤/٣٨،٣٧.راجع:الدر ٨/٢١، روح المعاني ١٦/١٧٢

(٢) راجع: البحر المحيط٦/٢١٨، الدر المصون٨/٢١

(٣) راجع على الترتيب: الطبري ١٦/٣٦، معاني الزجاج ٣/٣٥٣،٣٥٢، المحتسب ٢/٤٨،٤٧، الكشاف٤/٧٣، المحرر الوجيز٤/٤٠ ، شواذ القراءات ص٣٠٦ ، إعراب القراءات الشواذ٢/٦٨،٦٧، تفسير القرطبي ١٤/٣٥، تفسير البيضاوي٤/٢٤ ، البحر المحيط٦/٢١٨، الدر المصون٨/٢١، روح المعاني١٦/١٧٢

وقد وجه الفراءُ[١] قراءةَ الفتح (أَخفى) من خفي على التضاد؛ أي أن قولك (خَفَيْتُ) يجوز بمعنى: أظهرتُ، ويجوز خفيتُ بمعنى: سترتُ.

والزجاج استنتج من تركيب الكلمتين(أكاد أَخفيها) والذي بمعنى أكاد أظهرها أنها مخفية مستترة، فقال في معنى قراءة الفتح:" المعنى أكاد أظهرها؛ أي قد أخفيْتُها، وكدتُ أظهرها"[٢].

الشاهد الثالث: قرأ الجماعةُ (جنةُ المأوى) بالتاء وهي الجنة، وقرأ علي وأبو هريرة وأبو الدرداء وغيرهم (جنّهُ المأوى) والهاء ضميرُ المفعول يعود للنبي (صلى الله عليه وسلم)، والمَأْوَى فاعلٌ ، والتقدير: جنّه سواد الليل، أو جنّ عليه الليل وأدركه وستره، أو جنّه وأدركه المبيت، وقيل المعنى: ستره وضمه إيواء الله تعالى وجميل صنعه[٣].

✍- التحليل والمناقشة:

الشاهد الأول: روي عن أبي الدرداء وغيره (ليَخرج الناسُ) بفتح الياء وضم الراء مِنْ خَرَجَ يَخْرُج ورفع (الناسُ) على الفاعلية، وهذا هو أصل معنى قراءة الجمهور الموجّه فيها الخطاب للنبي الكريم(لتُخرجَ الناسَ)؛ فالقراءة الشاذة بمثابة بيانٍ للقراءة العشرية وتوضيح لها؛ إذ إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي من يشاء من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهو أعلم بالمهتدين، أما الرسولُ فيكون سببا لذلك عن طريق

(١) وقد نقله عن الكسائي. راجع: معاني الفراء١٧٦/٢

(٢) ينظر: معاني الزجاج ٣٥٣/٣

(٣) ينظر: إعراب النحاس ٢٧١/٤، المحتسب ٢٩٣/٢ ، الكشاف ٦٤٠/٥، المحرر الوجيز ١٩٩/٥، مفاتيح الغيب٢٩٢/٢٨، إعراب القراءات الشواذ ٥٢١/٢، القرطبي ٢٧،٢٨/٢٠، البحر المحيط١٥٧/٨، الدر المصون٩٠/١٠، روح المعاني٥١/٢٧

دعوته وتبليغه ، ويدعم ذلك سياق الآية المسند فيه إنزال الكتاب إلى الله (أنزلناه) المذيّل بقوله-عز من قائل- :" بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" فهو -سبحانه- يهدي إليه من تاب وأناب.

يقول الزجّاج شارحا قراءة الجمهور:" المعنى ليخرجَ الناسُ بإذن ربهم، أي بما أذن الله لك من تعليمهم، ويجوز أن يكون بإذن ربهم أنه لا يهتدي مهتدٍ إلا بإذن الله ومشيئته"(١).

ويقول النحاس أيضا:" أي هذا كتاب أنزلناه إليك في موضع رفع على النعت لكتاب(لِتُخرجَ الناسَ) لام كي، والتقدير: لِيخرج الناسُ."(٢)

وأما قراءة الجمهور فيعضدها من سياق الآية مفتتحها بقوله تعالى:"أنزلناه إليك" ففي هذا الخطاب(إليكَ) من التعظيم للنبي ما فيه، وقد أكد هذا توجيه الخطاب للنبي بالتاء لمزيد تشريف وتكريم له عليه السلام.

الشاهد الثاني: آية طه مشكلة كما قال أبو جعفر النحاس، والقرطبي(٣)، وقد تواترت فيها أقوال كثيرة تحكي لكل من القراءتين احتمالية معنيي الإظهار والستر، وهذا إنما يعود للجذر اللغوي (خ ف ي) فهو" يدور حول أصلين متباينين متضادين، فالأول الستر، والثاني الإظهار. فالأول خفِي الشيءُ يخفى؛ وأخفيته، وهو في خِفية وخفاء، إذا سترتَه...والأصل الآخر خفا البرقُ خفْوا، إذا لمع، ويقال خَفَيْت الشيء بغير ألف، إذا أظهرته"(٤).

---

(١) معاني الزجاج ١٥٣/٣

(٢) إعراب النحاس ٣٦٣/٢

(٣) راجع: إعراب النحاس ٣٥/٣، تفسير القرطبي ٣٥/١٤

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس(ت٣٩٥) تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، ط. دار الفكر ١٩٧٩م، كتاب الخاء-باب الخاء والفاء وما يثلثهما-مادة(خ ف ي) ٢٠٢/٢

وقد كثرت الأقوال كثرة كاثرة كما سردت في عنصر التوجيه السابق، وحتى نتمكن من توجيه القراءة بالضم وبالفتح (أُخفيها- أَخفيها) لابد من مراعاة سياق القرآن كله وحقائقه عن الساعة، علاوة على سياق الآية الكريمة؛ لننطلق من ذلك في بيان معنى القراءتين:

أولا: اتفقت الأقوال على أن الساعة في الآية هي يوم القيامة، وأنها آتية قادمة، ووقوعها متيقن متحقق كما قال تعالى: "إن الساعة آتية لا ريب فيها"، وأن توقيتها مغفل غير معلن؛ حيث خفاها الله تعالى حتى عن الملائكة المقربين وعن الأنبياء المرسلين؛ ومن ثم تأتينا بغتة كما أخبر ربنا فقال: "يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ....لا تأتيكم إلا بغتة....قل إنما علمها عند الله"(١).

ثانيا: أن الساعة قد اقترب موعدها كما أخبر القرآن مذ أربعة عشر قرنا من الزمان فقال تعالى: "اقتربت الساعة وانشق القمر"، وكما قال النبي (صل الله عليه وسلم): "بُعثت أنا والساعة كهاتين"، وأنه قد جاءت بعض أشراطها كما أخبر القرآن: "فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها...".

ثالثا: بتتبع واستقراء كلام العلماء تجد هناك من الموجّهين من حاول الجمع بين القراءتين؛ بأن جعلهما بمعنى، وألا فرق بينهما ، وذلك الجمع على طريق من طريقين:

الأول: القراءتان مترادفتان ويدلان على معنى الإظهار.

---

(١) وكما في قول الله:"إن الله عنده علم الساعة..." وفي حديث سيدنا جبريل المشهور عندما سأل رسول الله عن الساعة فقال النبي "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".

وهذا الرأي يُستنبط مما ذكره أبو عبيدة من شواهد في أن خفيتُ وأخفيْتُ بمعنى هو الإظهار والاستخراج[١]، مما يُلمح منه اتحاد القراءتين، وقد حُكي ذلك عن أبي الخطاب أيضا[٢].

وحكى الزمخشري بعدما ذهب إلى أن قراءة الفتح بمعنى الإظهار: " وقد جاء في بعض اللغات: أخفاه بمعنى خفاه، وبه فسر بيت امرىء القيس:

فَإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نْخفِه*وَإنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا نَقْعُدِ

فأكاد أُخفيها محتمل للمعنيين".[٣]

الثاني: القراءتان مترادفتان ويستعملان في معنيَيْ الإظهار والغموض

وقال التّوَّزي: خَفَيْت الشيءَ وأخفيتُه لغتان في الإظهار والكتمان جميعا. قال: ومن ذلك قول الله: (أكاد أخفيها) يُقرأ بالضم والفتح. فقال قوم: معناه أظهرها. وقال المفسرون: معناه أكتمها من نفسي.[٤]

ويستنتج من القولين أن (أخفى)، و(خَفَى) لهجتان من لهجات العرب، فاختلافهما هو اختلاف لهجي أي أن بعض القبائل تستعمل صيغة خفَى، وأن قبائل أخرى تستعمل صيغة أخفى والدلالة عند كليهما واحدة.

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٧

(٢) وهو رئيس من رؤساء اللغة لا يُشَكّ في صدقه.راجع: القرطبي ٣٦/١٤، البحر المحيط٢١٨/٦، الدر المصون٢١/٨، روح المعاني١٧٢/١٦

(٣) الكشاف٧٣/٤

(٤) نقل الرأيَ أبو الطيب اللغوي في كتابه الأضداد ص١٦٦

وفي ضوء ما سبق من دلالة الجذر اللغوي (خ ف ي) على المعنيين المتضادين، وانطلاقا من الآراء التي ترى القراءتين بمعنى واحد، وأنهما من اختلاف اللهجات يستنتج البحث أن:

*قراءة جمهور القراء بالضم تحتمل معنى الظهور ومعنى الاستتار كما ذهب جمهور العلماء، وفي احتمالها المعنيين لا تخالف ما ذهب إليه البعض(الطبري والزمخشري وابن عطية والرازي وأبو حيان) من دلالة أخفى على الاستتار فقط، أو ما ذهب إليه البعض الآخر(أبو علي الفارسي) من رجحان دلالة أخفى على الظهور.

**وأن القراءة المروية عن سعيد بن جبير وأبي الدرداء وغيرهما بالفتح تحتمل أيضا المعنيين، كما ذهب الفراء نقلا عن الكسائي، وفي احتمالها المعنيين تضم –دون شك– ما ذهب إليه الجمهور من أن معنى قراءة الفتح هو الإظهار .

***المعنى على الاستتار للقراءتين: "إن الساعة آتية أقرب من تعميتها على نفسي لأجزي كل نفس بما تسعى"[١] وهذا تأويل أكثر أهل العلم، وفيه جري على سنن العرب في مخاطباتهم إذا أرادوا المبالغة في إيهام وقت الشيء ؛ ليكون ذلك أخوف للنفوس، وأزجر لها كي تستعد وتستيقظ ولا تغفل، وهذا التصور يتعانق مع الآيات التي تؤكد إتيان الساعة بغتة، وخَفاءَ وقتها على الخلق جميعا؛ فهو–سبحانه– الذي عنده علم الساعة.

(١) راجع تفسير الطبري ٣٦/١٦، المحرر الوجيز٤٠/٤

****المعنى على الظهور للقراءتين:" إن الساعة مقطوع إتيانُها- رُغم أنها مخفية مستترة- وقد اقتربتُ من إظهارها بإظهار أشراطها كي أَجزي كل نفس بما اكتسبت"، وهذا التصور يتعانق مع الآيات التي تؤكد قرب الساعة، ومجيء أشراطها.

تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى:

من تتمة توجيه القراءتين ما وجده البحث من تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى؛ حيث لم يستجز قراءة الفتح الطبري فقال: "والذي هو أولى بتأويل الآية...قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا".(١)

أما الزجاج فقد ذكر القراءتين موجّها قراءة الفتح على الإظهار على نهج جمهور الموجهين مرجحا إياها قائلا:"...وقرئت أكاد أَخفيها -بفتح الألف- معناه أكادُ أُظهرها،....وهذه القراءة الثانية أبين في المعنى، لأن معنى أكاد أظهرها، أي قد أخفيتها وكِدتُ أُظهرها."(٢)

وقال النحاس:"...وعن سعيد بن جبير روايتان إحداهما ما حدثناه الحسن بن الفرج بغزة قال حدثنا...عن سعيد بن جبير أنه قرأ (أكاد أَخفيها) بفتح الهمزة قال: أظهرها وليس لهذه الرواية طريق غير هذا، وقد رواها أبو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سَهلٍ هذا. وأجود من هذا الإسناد ما

(١) تفسير الطبري ٣٦/١٦
(٢) معاني الزجاج٣٥٢/٣

رواه يحيى القطّان عن الثوري عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير أنه قرأ (أكاد أُخفيها) بضم الهمزة. قال أبو جعفر يقال خَفَى الشيء يخفيه إذا أظهره، وقد حكي أنه يقال: أخفاه إذا أظهره، وليس بالمعروف. قال أبو جعفر: ورأيت علي بن سليمان لما أَشْكَلَ عليه معنى أُخفيها عدل إلى هذا القول، وقد قال معناه كمعنى أَخفيها أي أُظهرها. قال أبو جعفر: ليس المعنى على أُظهرها ولا سيما وأَخفيها قراءة شاذة فكيف نرد القراءة الصحيحة الشائعة إلى الشاذة؟ ومعنى الضم أولى ويكون التقدير أنّ الساعة آتية أكاد آتي بها، ودل آتيهِ على آتي بها، ثم قال جل وعز: (أُخفيها) على الابتداء. وهذا معنى صحيح؛ لأن الله قد أخفى الساعة التي هي يوم القيامة: والساعة التي يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل والأمر عنده مبهم ولا يؤخر التوبة."(١)

من خلال النصوص السابقة وما تحته خطّ يمكنك الوقوف على سبب رجحان قراءة الضم، وعدم قبول قراءة الفتح عند الطبري والنحاس وهو شذوذ قراءة الفتح وضعف إسنادها لمخالفتها قراءة الجمهور التي هي حجة؛ وأن إسناد الضم أجود من إسناد الفتح، وهذا سبب عدم قبول النحاس تأويل قراءة الضم على معنى الإظهار تجنبا لإرجاع القراءة الصحيحة لمعنى القراءة الشاذة.

وفي المقابل عدّ الزجاجُ قراءةَ الفتح(أَخفيها) التي بمعنى الإظهار- عند جلّ العلماء- أبينَ في المعنى وأنسب للسياق من قراءة الضم التي تحتمل معنيي الاستتار والإظهار.

(١) إعراب النحاس ٣/٣٦،٣٥

والحق أنه لا تعارض بين الأقوال فلاشك أن لكل من الضم والفتح وجها في العربية يُقبل ولا يُنكر، وأن ضعف إسناد قراءة الفتح، وقوة إسناد قراءة الضم يُرجّح قراءة الضم، ولكن لا يمكن إغفال وضوح معنى قراءة الفتح ودلالتها المباشرة على المعنى السياقي، وأما الإسناد والرواية وقبول فتح الهمزة قراءة أو عدمه فهذه معالجة أخرى وطريق آخر، ولا يعني رفض القراءة سندا رفضها كشاهد لغوي ومظهر لهجي.

الشاهد الثالث: رُوي عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة وأبي الدرداء –رضي الله عنهم–وعن غيرهم (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) بهاء الضمير العائد على النبي (صل الله عليه وسلم) موصولة بالفعل الماضي (جَنّ).

وهذه القراءة علاوة على الحُكم عليها بالشذوذ[١] فقد رُوِي إنكارها عن بعض الصحابة كسعد وابن عباس وابن عمر، كما روي عن السيدة عائشة أنها قالت تعليقا على هذه القراءة: "من قرأ (جنّةُ المأوى) يريد جنّ عليه، أجنّه الله.[٢]

وينبغي التوقف مع المساق اللغوي للآية في ضوء سوابقها ولواحقها من الآيات لضبط معنى هذه القراءة قبولا أو رفضا:

أما الفعل الماضي (جَنّ) فيدور هو ومشتقاته حول معنى التستّر والخفاء. قال ابن فارس:" الجيم والنون أصل واحد، وهو السَّتْر والتستُّر...والجنين: الولد في بطن أُمّه. والجنين: المقبور. والجَنَان: القَلْب. وكلُّ ما استُتر به من السِّلاح فهو جُنَّة...والجِنّة: الجنون؛ وذلك أنّه يغطِّي

(١) راجع: معاني الفراء ٩٧/٣، إعراب النحاس ٢٧١/٤،
(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٧١/٤، المحتسب ٢٩٣/٢، الكشاف٥/٦٤٠

العقل. وجَنَانُ الليل: سوادُه وستْرُه الأشياءَ...والجنّ سُمّوا بذلك لأنهم متستِّرون عنْ أعين الخلق. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾"(١).

والمأوى: "المنزل يُقال: أويْتُ إلى المنزِل وأويْتُ غيري وآويْتُه، ومن المقصور اللازم الحديث: أما أحدهم فأوى إلى الله، أي رجع إليه، ومن الممدود حديث الدعاء: الحمد لله الذي كفانا وآوانا؛ أي ردّنا إلى مأوى لنا، والمأوى والمأواة: المكان، قال الجوهري: المأوَى: كل مكان يأوِي إليه شيء ليلا أو نهارا."(٢)

والسياق الكلي للآيات يدور حول دحض مزاعم الكفار بأن محمدا – عليه السلام– يختلق القرآن، ويتقوله؛ بالتأكيد على تنزيه النبي (صل الله عليه وسلم) عما افترَوْه، وعلى صدقه فيما يبلغه عن ربه–عز وجل– بواسطة أمين السماء جبريل، وعلى تشريف النبي (صل الله عليه وسلم) بتلقي الوحي مباشرة من الله دون واسطة عند سدرة المنتهى حيث منتهى العروج في مراتب العِزّة، وكذا تقريب وتصوير صفة نزول سيدنا جبريل بالوحي.

وبمراجعة توجيه العلماء تجدهم قدّروا هذه القراءة على غير تقدير فأبو جعفر النحاس قدره على معنى: جنّه سواد الليل، وفي المحتسب وفي القرطبي: أدركه الليل وألبسه سواده، وقيل: فعله المأوى، وفي الكشّاف: ستره الليل بظلاله، وفي المحرر الوجيز: ستره وضمه إيواء الله تعالى

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب الجيم، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق والترخيم، مادة (ج ن ن) ٤٢٢/١، ٤٢١

(٢) ينظر: اللسان لابن منظور ط.دار المعارف باب الهمزة– مادة (أ و ى).

وجميل صنعه، والرازي والعكبري قدّراه على معنى: جنه الليل وستره ، وفي البحر المحيط وردت تقديرات عديدة منها: عندها ستره إيواء الله تعالى وجميل صنعه، وقيل: المعنى ضمه المبيت والليل، وقيل: جنه بظلاله ودخل فيه.(١)

وهذه التقديرات على كثرتها إنما تدور حول معنيين:

أولهما: عند النَّزْلة ستره الليل وأدركه.

وثانيهما: عند النزلة ستره إيواء الله تعالى وجميل صنعه.

وللمعنيين وجههما في العربية انطلاقا من دوران الفعل (جنّ) ومشتقاته حول معنى الستر كما قال ابنُ جني عند توجيه القراءة: "والذي عليه اللغة أن جنّه الليل: أدركه الليل، وجن عليه الليل، وأجنه: ألبسه سواده. قال :

ولولا جنونُ الليلِ أدرك ركضُنا ∴ بذي الرِّمثِ والْأرطَى عِيَاضَ بن ناشِبِ

والمعنى الجامع لتصريف ج ن ن أين وقعت إنما هو الاستخفاء والستر. ومنه الجِنّ، والجِنة. والجانّ، والجِنان لاستتار الجن، ومنه الجنين لاستتاره في الرحم ....."(٢)

والمعنى الثاني هو الأنسب ومساق الآيات لأنه يجسد مزيد تشريف النبي (صل الله عليه وسلم)؛ حيث آواه ربه وأكرمه وأعلى قدره.

---

(١) راجع: إعراب القرآن للنحاس ٢٧١/٤، المحتسب لابن جني ٢٩٣/٢، الكشاف٦٤٠/٥ ، المحرر الوجيز١٩٩/٥ ، شواذ الكرماني ص٤٥١ ، مفاتيح الغيب٢٩٢/٢٨، القرطبي ٢٧،٢٨/٢٠، البحر المحيط.١٥٧/٨

(٢) ينظر: المحتسب ٢٩٣،٢٩٤/٢

وما رُوي من إنكار السيدة عائشة-رضي الله عنها- للقراءة، ومعها جمع من الصحابة، فمعلوم أنه قد صح أنه قرأ بها سيدنا علي كرم الله وجهه ومعه من أكابر الصحابة أيضا ما لا يمكن لأحد رده من حيث الشذوذ في الاستعمال، كما أنه قد حُكِي عن السيدة عائشة - في رواية أخرى- الإجازة أيضا.(١)

شذوذ القراءة وقراءة الجمهور لها:

لا شك أن قراءة(جنّه) شاذة سندا، وأن قراءة الجمهور(عندها جنةُ المأوى)- بمعنى أنها جنة تصير إليها أرواح الشهداء أو المؤمنين- أصحّ وأجود كقوله تعالى: (جنات المأوى)؛ وذلك لإجماع الجماعة الذين تقوم بهم الحجة.(٢)

(١) راجع: مفاتيح الغيب ٢٨/٢٩٣،٢٩٢، البحر المحيط ٨/١٥٧، روح المعاني٢٧/٥١

(٢) كما ذكر الزجاج والنحاس. راجع إعرابهما على الترتيب:٥/٧٣، ٤/٢٧١

ثانيا: ما روي على صيغة (فَعّل)

✍- الشاهد القِرائي[١]:

الشاهد الأول: (ما قُتلوا) في قول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ... ﴿١٦٨﴾ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء (ما قُتّلوا) بتشديد التاء.

الشاهد الثاني: (يُوصَى) في قول الله:﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ..فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ...﴿١٢﴾ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء(يُوَصِّي) بكسر الصاد مع تشديدها.

الشاهد الثالث: (كَذب) في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ حيث رواها أبو الدرداء (كذّب) بتشديد الذال.

✍- توثيق القراءة:

الشاهد الأول:

قال ابنُ خالويه: "أطاعونا ما قتِّلوا: بِالتشديد أبو الدرداء ورواه عن ابن عامر."[٢]

(١) الشواهد على ترتيب ورودها آل عمران/١٦٨، النساء/١٢، النجم/١١

(٢) شواذ القرآن لابن خالويه ص٢٩، ٣٠، ولم ينسبها إلى أبي الدرداءغيرُ ابن خالويه.

وقال مكي: "قوله: (لو أطاعونا ما قتلوا) قرأه هشام بالتشديد، وخفف الباقون".[١]

الشاهد الثاني:

يقول النحاس: "قرأ مجاهد وعاصم وابن كثير﴿من بعد وصية يوصَى بها أو دين﴾ على ما لمْ يُسمَّ فاعله، وقرأ الحسن(يوَصَّى بها) ..."[٢].

وقال ابنُ خالويه: " يُوَصِّي بتشديد الصاد أبو الدرداء وأبو رجاء"[٣].

(١) الكشف ٣٦٤/١ ، وراجع لمكي أيضا: التبصرة في القراءات السبع تحقيق د. محمد غوث الندوى، نشر: الدار السلفية بالهند، الثانية ١٩٨٢م ص٤٦٧ . وقد نسب التشديدَ إلى هشام علماء كثر منهم: ابنُ شريح، والداني ، والبيضاوي، والسمين الحلبي، وابن الجزري، والبنا الدمياطي، ونسبَ التشديدَ إلى الحسن بن أبي الحسن آخرون منهم: ابن عطية، والكرمانيُّ، وأبو حيان، وقد أورد المهدويُّ القراءةَ دون نسبة. راجع: شرح الهداية ٢٣٧/١، التيسير ص٩١،الكافي في القراءات السبع تحقيق أحمد محمود الشافعي نشر: دار الكتب العلمية، الأولى ٢٠٠٠م ص٩٦، المحرر ٥٤٠/١، شواذ القراءات ص١٢٥، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ط. دار صادر–بيروت د.ت ٨٠/٣، البحر المحيط١١٦/٣، الدر المصون٤٨١/٣، النشر ١٨٣/٢، روح المعاني١٢٢/٤، إتحاف فضلاء البشر ٤٩/١،٤٩٣. وينظر أيضا: التحرير والتنوير١٦٤/٤، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع للشيخ عبد الفتاح القاضي ط. مكتبة السوادي بجدة، الرابعة ١٩٩٢م ص٤٠،٣٩، معجم القراءات ٦١٨/١

(٢) إعراب القرآن ٤٤٠/١، وقد نسبت القراءة بالتشديد مع الفتح (يُوَصَّـــى) إلى الحسن أيضا في المحرر الوجيز١٧/٢ ، ودون نسبة في الدر المصون ٦٠٣/٣، وفي حاشية الشهاب ١١٣/٣. كما نسبت القراءة بالتشديد إلى الحسن كذلك ولكن مع البناء للفاعل (يُوَصِّي) في الإتحاف ٥٠٥/١، وفي القراءات الشاذة للقاضي ص٤٠. وانظر: معجم القراءات ٢٩،٣٢/٢

(٣) مختصر ابن خالويه ص٣١، وقد نسب ابن خالويه التشديد مع كسر الصاد إلى أبي الدرداء وأبي رجاء ولم أجدهما عند غيره، وذكرت قراءة التشديد مع البناء على الفاعلية من دون نسبة في الكشاف٣٦/٢، وفي روح المعاني ٢٢٧/٤ وراجع للاستزادة: معجم القراءات ٢٩،٣٠،٣٢/٢

الشاهد الثالث:

قال الفراء:" وقوله -عز وجل-: (ما كذَبَ الفؤاد) فؤاد محمد(ما رأى)، ... و(كذّب) يُقرأ بالتشديد والتخفيف. خففها عاصم، والأعمش وشيبة، ونافع المدنيان، وشددها الحسن البصري، وأبو جعفر المدني."(١)

وقال ابن مجاهد:" قرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان: (ما كذَب) خفيفة، وفي رواية هشام بن عمّار:(ما كذّب) مشددة، وقرأ الباقون:(ما كذَبَ) مخففة الذال."(٢)

وقال ابنُ خالويه:" (ما كذّب الفؤاد) أبو الدرداء، ورواه عن ابن عامر والجَحْدَرِيّ وجماعة وفيهم أبو جعفر."(٣)

✍- التوجيه:

الشاهد الأول: قرأ أبو الدرداء وابن عامر والحسن وهشام (ما قُتّلوا) على التكثير؛ لأن المقتولين كثر، والتشديد للتكثير، وقرأ الباقون(ما قتِلوا) بالتاء مخففة؛ لأن التخفيف للتقليل والتكثير، فهو كالتشديد في أحد وجهيه.(٤)

---

(١) ينظر: معاني الفراء ٩٦/٣ وراجع: معاني الزجاج ٧١/٥، إعراب النحاس ٢٦٨/٤،٢٦٧

(٢) السبعة ص٦١٤. وينظر أيضا: شرح الهداية ٥٢٢/٢، التيسير في القراءات السبع ص٢٠٤، الكافي في القراءات السبع ص٢٠٩، إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٥٢٠/٢،٥١٩، النشر ٢٨٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٤٩٩/٢

(٣) المختصر ص ١٤٧ وراجع أيضا: تفسير الطبري ٢٦/٢٢ ، الكشاف ٦٣٩/٥، المحرر الوجيز ١٩٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٢٠، البحر المحيط ١٥٦/٨، الدر المصون ٨٨/١٠، روح المعاني٤٩/٢٧

(٤) الكشف٣٦٤/١، وينظر أيضا: شرح الهداية ٢٣٧/١، الدر المصون٤٨١/٣، الإتحاف ٤٩٤/١، التحرير والتنوير١٦٤/٤

الشاهد الثاني: قرأ أبو الدرداء وأبو رجاء والحسن مشددين الصاد على الفاعلية (يوصِّي) أو المفعولية (يوصَّى)، وذلك من الفعل (وصّى) المزيد بالتشديد أو التضعيف فهو من التوصية على التكثير، وقرأها الجمهور على التخفيف(١).

الشاهد الثالث: قرأ الجمهور(كذَبَ) بتخفيف الذال "أي: ما كذَب فؤادُ محمد فيما رآه"(٢)، وقرأ أبو الدرداء وهشام وأبو جعفر وغيرهم (ما كذّب الفؤاد) بالتشديد من التفعيل ومعناه: "ما كذّب فؤادُه ما رأت عيناه ليلة أسري به، بل صدّقه الفؤاد ولم ينكره ولم يشكّ فيه"(٣).

✍- التحليل والمناقشة:

الشاهد الأول(ما قتّلوا):

القراءة بالتشديد قراءةٌ عشرية متواترة حيث روى هشامُ من طريق الدّاجُونِيّ تشديد التاء من (ما قتّلوا)، وقرأها الجماعة بالتخفيف(ما قتِلوا) وهو الوجه الثاني عن هشام.(٤)

ومساق الآية يجسد حال المنافقين يوم أحد، وقائل الجملة :"لو أطاعونا ما قتلوا" كما قال السدي وغيره هو عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، وقد

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤٤٠/١، القراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص٤٠، أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية ٥٤٨/١، معجم القراءات ٣٢/٢،٣٠، ٢٩

(٢) إعراب النحاس ٢٦٨/٤، وراجع:مشكل إعراب القرآن ٢٣٤/٢، البيان في غريب إعراب القرآن ٣٩٧/٢، النشر٢٨٣/٢

(٣) ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٢٣١/٦، حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٨٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢٩٤/٢

(٤) راجع: النشر ١٨٣/٢،الإتحاف ٤٩٤/١، معجم القراءات ٦١٨/١

قالوا ذلك يوم أحد لإخوانهم من المنافقين الأحياء بشأن المقتولين من ذوي قرابتهم من الخزرج ممن خرجوا مع النبي (صل الله عليه وسلم) وقُتلوا في ذلك اليوم، فقد قالوا: لو أطاعونا –أي في ترك القتال– ما قُتلوا كما لم نُقتل، وفيه إيذانٌ بأنهم أمروهم بالانخذال حين انخذلوا، ودفْع هذه الحجة هو أنكم أيها القائلون إن التوقي واستعمال النظر يدفع الموت فتوقّوْا وانظروا في الذي يغشاكم منه حتف أنوفكم فادفعوه إن كان قولكم صدقا؛ أي إنما هي آجال مضروبة عند الله. (١)

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن القراءة بالتشديد إنما هي على التكثير، وهذا المعنى هو الغالب على بناء(فعّل) ومعنى القراءة يتناغم وسياق الحرب في سبيل الله – نشرا للدين، ودفاعا عنه– وما ينجم عنه من قتلى في صفوف الكفرة وفي صفوف المؤمنين أيضا؛ ولأن عدد المقتولين في سبيل الله كبير، شدد التاءَ على معنى التّقتيل للمبالغة في القتل، وهو يفيد أيضا معنى تفظيع المنافقين ما أصاب إخوانَهم من القتل طعناً في طاعتهم النبي (صل الله عليه وسلم)، وإضعافا لعزيمة المؤمنين.(٢)

والاختلاف القرائي حول هذا الفعل بين التشديد والتخفيف ليس في هذا الحرف في هذا الموضع فقط وإنما في حروف أربعة أخرى، وحدّ ذلك كما "رُوي عن ابن عامر: ما كان من القتل في سبيل الله فهو بالتشديد."(٣)

---

(١) راجع: المحرر الوجيز١/٥٤٠، تفسير القرطبي ٥/٤٠٥ وما بعدها، روح المعاني٤/١٢٠

(٢) ينظر: الكشف ١/٣٦٤، شرح الهداية ١/٢٣٧،الدر المصون٣/٤٨١، الإتحاف ١/٤٩٤، روح المعاني٤/١٢٠ ، التحرير والتنوير٤/١٦٤

(٣) النشر ٢/١٨٣

وقد جمع الإمام مكي هذه الحروف الخمسة المختلف فيها فقال:" قرأ هشامُ" لو أطاعونا ما قتلوا" بالتشديد، خفف الباقون، قرأ ابنُ عامر"ولا تحسبنّ الذين قتلوا" وفي الحج " ثم قتلوا" بالتشديد فيهما، وخفف الباقون. وقرأ ابنُ كثير وابن عامر"وقاتلوا وقُتلوا" ، و"قد خسر الذين قتلوا أولادهم" في الأنعام بالتشديد فيهما، وخفّف الباقون- ولم يُختلف في غير هذه الخمسة."(١)

نسبة القراءة: قرأ بالتشديد(ما قُـــــــتّلوا) هشامٌ عن ابن عامر، وكذا رُوي التشديدُ عن الحسن، وروي عن غيرهما، وقد نسبها ابنُ خالويه -فقط- في مختصره(٢) إلى أبي الدرداء، لكنه جعل أبا الدرداء راويا هذه القراءة عن ابن عامر، وابنُ عامر قرأ بها دون شك في رواية هشام عنه بانفراد، لكنّ أبا الدرداء ليس راويا عن ابن عامر، لأن أبا الدرداء شيخُ ابنِ عامر، وابنُ عامر تلقى القراءةَ عن أبي الدرداء وغيره، ومن ثم فجعْلُ أبي الدرداء راويا عن ابن عامر خلْط بيّن، ولعله تصحيف ويكون أصل العبارة: (ورواه عنه ابن عامر) لكن ضمير الهاء سقط سهوا.

الشاهد الثاني(يوصّي):

وردت الكلمة موضع الشاهد في موضعين في سورة النساء في الآيتين (١١-١٢) وقد قرأها جمهور القراء العشر على التخفيف، وإن اختلفوا فيها بين الكسر والفتح على النحو الآتي:

---

(١) التبصرة ص٤٦٧ وراجع: السبعة ص٢١٩، التيسير ص٩١، النشر ١٨٣/٢، الإتحاف ٤٩٣،٤٩٤/١

(٢) مختصر ابن خالويه ص٢٩، ٣٠

في الموضع الأول: قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص وأبو جعفر ويعقوب (يُوْصِي) مبنيا للفاعل من (أوصى) الرباعي، بينما قرأ ابنُ عامر وابنُ كثير وعاصمُ في رواية أبي بكر(يُوصَى) على البناء للمفعول.

في الموضع الثاني: قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب(يُوصِي) بكسر الصاد مبنيا للفاعل، بينما قرأ ابنُ عامر وابنُ كثير وعاصم في رواية أبي بكر وحفص (يوصَى) بفتح الصاد مبنيا للمفعول.

أي أن قراءةَ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الصاد في الحرفين على ما لم يُسمَّ فاعلُه، وقراءة الباقين بكسر الصاد فيهما، وقال حفص عن عاصم: الأولى بالكسر(يوصِي بها)، والثانية(يوصَى بها) بفتح الصاد.[١]

أما القراءةُ بفتح الواو وتشديد الصاد فهي قراءة شاذة، وقد اختلفَ فيها العلماءُ بين البناء للفاعل(يُوصِّي)، أو البناء للمفعول(يُوَصَّى) اختلافهم في القراءة المتواترة بين كسر الصاد(يوصِي) وفتحها(يوصَى)؛ فأوردها ابنُ خالويه والزمخشري والبنا الدمياطي والألوسي والقاضي على التشديد مع الكسر (يُوَصِّي)[٢]، بينما أوردها النحاسُ وابنُ عطية والسمين الحلبي والخفاجي على التشديد مع الفتح (يُوَصَّى).[٣]

---

(١) ينظر: السبعة ص٢٢٨، المبسوط في القراءات العشر ص١٧٦، حجة القراءات لابن زنجلة ص١٩٣، النشر ١٨٦/٢، الإتحاف ٥٠٤،٥٠٥/١، معجم القراءات ٢٦،٢٩،٣٠/٢

(٢) يراجَع: مختصر ابن خالويه ص٣١، الكشاف٣٦/٢، الإتحاف ٥٠٥/١، روح المعاني٢٢٧/٤، القراءات الشاذة ص٤٠

(٣) ينظر: إعراب القرآن ٤٤٠/١، المحرر الوجيز١٧/٢، الدر المصون٦٠٣/٣، حاشية الشهاب الخفاجي ١١٣/٣

ومع أن الكلمة وردت في آيتين متتاليتين وفي سياق لغوي واحد فإن جمهرة العلماء السابق ذكرهم أوردوا قراءة التشديد في آية من الآيتين دون الأخرى؛ فهاهو النحاس والزمخشري والحلبي والخفاجي يذكر قراءة التشديد في الآية الأولى من آيتي المواريث، وابن خالويه والألوسي يذكرها عند تناوله الآية الثانية، أما ابنُ عطية والدمياطي والقاضي وعبد اللطيف الخطيب فقد ذكروا قراءة التشديد في الموضعين.

ومن خلال ما سبق عرضه يمكن القول بأن الكلمة في الآيتين الكريمتين يُقرأ بها على تشديد الصاد-شذوذا- إما على الفاعلية، وإما على المفعولية، وهذا التشديد للتكثير من الموَصِّي ليتحقق مزيد اهتمام الورثة بالوصية؛ إذ إنها تطوع ، وليست إلزاما وليس لها صاحب حق يطالب بها كالدين، فشُدّد التعبير تنبيها لأذهان الورثة وحضّا لهم على تنفيذ الوصية والمسارعة إلى إخراجها وعدم التفريط في أدائها.

وقد قال الألوسي في توجيه هذه القراءة، وفلسفة تقديم الوصية على الدين:" وقرىء يوصّى مشددا والجملة صفة وصية وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب إليها وقيل التعميم لأن الوصية لا تكون إلا موصى بها....، وتقديم الوصية على الدين ذِكرا مع أن الدَّين مقدمٌ عليها حكما؛ لإظاهر كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في أدائها؛ حيث إنها تؤخذ كالميراث بلا عوض فكانت تشق عليهم ولأن الجميع مندوب إليها حيث لا عارض بخلاف الدين في المشهور مع ندرته أو ندرة تأخيره إلى الموت"(١).

(١) ينظر: روح المعاني٤/٢٢٧

نسبة القراءة: القراءة بالتشديد نسبت إلى الحسن في جل كتب القراءات[١]، وهذا التشديد مع فتح الصاد(يوَصَّى) في بعضها، ومع الكسر(يوصِّي) في بعضها الآخر، ونُسب التشديد مع الكسر- في مختصر ابن خالويه[٢]- إلى أبي الدرداء وأبي رجاء فقط ، ولم أجدهما عند غير ابن خالويه.

الشاهد الثالث(كذّب):

القراءة بتشديد ذال (كذّبَ) قراءة ابن عامر من رواية هشام، كما ذكرت جلّ كتب رواية القراءات ودرايتها، وزاد بعضهم أبا جعفر المدني وغيره -كما سيأتي بيانه- ؛ فهي إذا قراءة متواترة عشرية، وقد خففها جمهور القراء، وكذا ابنُ عامر في رواية ابن ذكوان هكذا:(كذَبَ).

وأما عن وجه قراءة التشديد (ما كذّب الفؤاد ما رأى)، فهو أنه "جعل الفعلَ متعديا بنقله إلى التشديد، فتعدّى إلى (ما) بغير تقدير حذف حرف جر فيه، و(ما) مفعول كذّب بغير حرف مقدر، لأنه يتعدى مشدّدا بنفسه بغير حرف. ويجوز أن تكون(ما) بمعنى (الذي) والعائد محذوف . والتقدير: ما كذَب فؤادُه ما رأت عيناه، بل صدّقه. أي: ما رآه سيدُنا محمد بعينه صدّقه قلبُه ولم يُنكره.[٣]

(١) راجع: إعراب النحاس ٤٤٠/١، المحرر الوجيز ١٧/٢،الإتحاف ٥٠٥/١، القراءات الشاذة ص٤٠، معجم القراءات٣٢/٢،٣٠،٢٩

(٢) راجع: مختصر في شواذ القرآن ص٣١

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٣٥/٢،٢٣٤، الكشف ٢٩٤/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٣٩٧/٢، تفسير القرطبي ٢٣/٢٠، الإتحاف ٤٩٩/٢. وراجع أيضا: إعراب النحاس ٢٦٨/٤، الحجة للقراء السبعة ٢٣١/٦

تفضيل إحدى القراءتين:

بتصفح كتب القراءات والتفسير وإعراب القرآن يظهر لك تفضيل بعضهم قراءة التخفيف (كذَبَ) على قراءة التشديد (كذَّب) يقول الإمام الطبري:" واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة (كَذبَ) بالتخفيف، غير عاصم الجَحْدَرِي وأبي جعفر القارئ والحسن البصري؛ فإنهم قرأوه "كذّب" بالتشديد، بمعنى: أن الفؤاد لم يُكذّب الذي رأى، ولكنه جعله حقا وصدقا، وقد يُحتمل أن يكون معناه إذا قرئ كذلك: ما كذّب صاحب الفؤاد ما رأى. وقد بيَّنا معنى من قرأ ذلك بالتخفيف. والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القرّاء عليه، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها."(١)

ويقول أبو جعفر النحاس:" (ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى) هذه قراءة أكثر القراء، وقرأ الحسن وقتادة ويزيد بن القعقاع وعاصم الجحدري (ما كذّب الفؤادُ) مشددا. التقدير في التخفيف ما كذَبَ فؤاد محمد محمدا فيما رآه ...، ومن قرأ كذّب فزعم الفراءُ أنه يجوز أن يكون أراد صاحب الفؤاد. وأجاز أن يكون معنى (ما كذّب) صدّق. والقراءة بالتخفيف أبيَنُ معنى، وبالتشديد يبعد؛ لأن معناها قَبِله وإذا قبله الفؤادُ أي علِمَه فلا معنى للتكذيب. والقراءة بالتخفيف بيَّنَه أي صَدَقَه."(٢)

ويقول مكي: "قوله: (ما كذَب الفؤاد) قرأه هشام (كـذّب) بالتشـديد، جعل الفعل متعديا بنقله إلى التشديد، فتعدّى إلى (ما) بغير تقدير حذف حرف

(١) تفسير الطبري٢٢/٢٦
(٢) إعراب القرآن ٤/٢٦٨،٢٦٧

جر فيه، والتقدير: ما كذّب فؤاده ما رأت عيناه، بل صدّقه. وقرأ الباقون بالتخفيف، عدّوا الفعل إلى (ما) بحرف جرّ مقدّر محذوف، تقديره: ما كذَب فؤادُه فيما رأت عيناه، والمعنى واحد. والتخفيف أحب إليّ؛ لأن الجماعة عليه."(١)

وبالنظر إلى ما ذكره علماؤنا يتبين اتكاء التفضيل عندهم على أمرين:

الأول: أن قراءة التخفيف إنما هي قراءة الجماعة أو الجمهور من القراء، وإلا فالمعنى واحد كما ذكر الشيخ مكي.

الثاني: أن قراءة التخفيف أقرب وأبين معنى من قراءة التشديد مستدلا بأن معنى قراءة التشديد: قَبِل الفؤاد ما رأى ، وفي القبول علم، والعلم لا علاقة له بالتكذيب.

والحق أن قراءة أكثر القراء بالتخفيف لا يرجّح قراءة التخفيف، ولا يضعّف قراءة التشديد لا سيما أن القراءة بالتشديد نسبت إلى قارئَيْن من القراء العشر، أما ما ذكره أبو جعفر النحاس من أن التخفيف أبينُ معنى وأقربُ من التشديد؛ فقد اعتمد فيه على معنى واحد هو أن عدم التكذيب يعني القبول، ولم أجد هذا المعنى عند غيره، وأكثر العلماء قد وجّه قراءة التشديد على معنى الصدق وعدم الإنكار، وهو المعنى نفسه الذي وجّهه النحاس لمعنى قراءة التخفيف.

والرأي أن مسألة تفضيلِ قراءة متواترة على أخرىفيها نظر؛ فالقراءتان تتكاملان في بيان علوّ مقام النبي (صل الله عليه وسلم) عند

(١) الكشف ٢/٢٩٤

ربه وفي تنزيهه؛ ففؤاده الشريف-كما توحي قراءة التخفيف- لم يَكذبْ ولم يتوهم في رؤية الله تعالى، أو في رؤية سيدنا جبريل-على اختلاف بين المفسرين- ؛ إذ إن ما رآه الفؤاد صدق، وكذلك تحققت الرؤية بِعيْنَيْ رأس النبي (صل الله عليه وسلم) -كما توحي قراءة التشديد-؛ فلم يُكذّب الفؤادُ ما رأت العين ولم يُنكره بل صدّقه،وبالتالي فإن رسولَ الله رأى صورة ربّه أو جبريل بعينِه وبصره، وعرفه ورآه بقلبه، ولم يشك فؤاده في أنّ ما رأته عينُه حق.

وهناك من علماء القراءات من أرجع معنى التشديد إلى معنى التخفيف، ورادف بينهما، مستوحيا من قراءة التشديد معنى قراءة التخفيف علاوة على دلالة التوكيد فقط، يقول أبو علي الفارسي:"فمعنى (ما كذَب الفؤاد ما رأى): لم يَكذِبْ فؤاده ما أدركه بصره، أي: كانت رؤية صحيحة غير كاذبة، وإدراكا على الحقيقة، ويشبه أن يكون الذي شدّد فقال:(كذّب) شدّد هذا المعنى، وأكّده."[١] ويقول المهدوي:"(ما كذب الفؤاد) من خفّف فمعناه: ما كذَب فؤاد محمد ما رآه بصره، والتشديد فيه معنى التأكيد، وهو يرجع إلى معنى التخفيف"[٢]

وعلاوة على ما ذكره الفارسي والمهدوي ومن قبلهما صاحب الكشف -الذي صرّح بأن المعنى واحد-؛ فقد وجّه الكثيرُ قراءتي التخفيف والتشديد إلى معنى واحد هو التصديق[٣] ؛ ومن ثمّ فلا وجه للتفاضل والتفضيل.

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٣١/٦

(٢) شرح الهداية ٥٢٢/٢

(٣) راجع مثلا: معاني الفراء ٩٦/٣ ، حجة القراءات ص٦٨٥، القرطبي٢٠/٢٢،٢٣، الدر المصون١٠/٨٨، روح المعاني٢٧/٤٩

نسبة القراءة:

قراءة تخفيف الذال (كذَب) هي قراءة عامة القراء وجمهورهم كما سبق ذكره، أما قراءة التشديد(كذّب) فقد نسبها الفَرّاء إلى الحسن البصري وأبي جعفر المدني، وزاد الطبري عاصم الجَحْدَرِيّ، أما ابن مجاهد فقد نسب التشديد إلى هشام عن ابن عامر، ووافقه الفارسي وابن زنجلة ومكي والداني وابن شريح الأندلسي والبيضاويّ، وزاد النحاسُ –على الحسن والجحدري– قتادةَ ويزيد بن القعقاع. (١)

وفي مختصر ابن خالويه: "أبو الدرداء ورواه عن ابن عامر والجَحْدَرِيّ وجماعة وفيهم أبو جعفر".(٢)

تعقيب على ما ورد في المختصر: لم أجد نسبة قراءة التشديد(كذّب) إلى أبي الدرداء عند غير ابن خالويه، ولا ضير في هذا فقد ذهب أغلب أهل القراءات إلى نسبة التشديد إلى هشام، ومن بعد ذلك زادوا وأضافوا آخرين على اختلاف كبير بينهم، ولكن المنسوب إلى ابن خالويه فيه نظر؛ إذ إنه

---

(١) وعند ابن عطية وأبي حيان: هشام وأبو رجاء وأبو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن إلياس، أما القرطبي فقد زاد على هشام أهلَ الشام، ونسب الأصبهانيُّ وابنُ الجزري التشديد إلى اثنين فقط هما أبو جعفر وهشام، ووافقهما الشيخ البنّا بزيادة الحسن، وذُكرت القراءة دون نسبة عند الزجاج، والمهدوي، والزمخشري، والرازي، والعكبري. راجع على الترتيب التاريخي: معاني الفراء ٩٦/٣ ، الطبري٢٦/٢٢، معاني الزجاج ٧١/٥، السبعة ص٦١٤، إعراب النحاس ٢٦٨/٤،٢٦٧، الحجة للقراء السبعة ٢٣٠/٦، المبسوط ص ٤١٩، حجة القراءات لأبي زرعة ص٦٨٥، الكشف ٢٩٤/٢،شرح الهداية ٥٢٢/٢، التيسير ص٢٠٤، الكافي ص٢٠٩، الكشاف ٦٣٩/٥، المحرر الوجيز ١٩٨/٥، مفاتيح الغيب ٢٨٩/٢٨ ، إعراب القراءات الشواذ ٥١٩/٢، القرطبي٢٣/٢٠، البحر المحيط١٥٦/٨، النشر ٢٨٣/٢، عناية القاضي على تفسير البيضاوي ١١٢/٨، الإتحاف ٤٩٩/٢، معجم القراءات ١٧٨،١٧٩/٩

(٢) المختصر ص١٤٧

جعل أبا الدرداء[١]– المتوفى ٣٢هـ– راويا هذه القراءةَ عن ابنِ عامر – الذي توفي ١١٨هـ– والجَحْدَرِيِّ–المتوَفّى ١٣٠هـ– وأبي جعفر المتوَفّى ١٢٨هـ.

وابنُ عامر قرأ بها دون شك في رواية هشام عنه، لكنّ أبا الدرداء ليس راويا عن ابن عامر، لأن أبا الدرداء شيخُ ابنِ عامر، بل شيخ مقرأة الشام، "وابن عامر أخذ القراءة عرْضا عن أبي الدرداء؛ إذ إن الذين كانوا في حلقة إقراء أبي الدرداء أزيد من ألف رجل، وكان ابن عامر مُقَدَّمًا فيهم"[٢]، فالمنطقي أن ابنَ عامر تلقى القراءةَ وأخذها عن أبي الدرداء؛ ومن ثم فجعْلُ أبي الدرداء راويا عن ابن عامر خلْط، ولعل العبارة قبل التصحيف هي: (ورواه عنه ابن عامر والجحدري وجماعة وفيهم أبو جعفر).

(١) وهذه ليست المرة الأولى التي يجعل فيها ابنُ خالويه أبا الدرداء راويا عن ابن عامر. راجع في مختصره ص٢٩،٣٠ ما ذكره في نسبة قراءة التشديد(قُتّلوا)، وقد سبق تناول ذلك.

(٢) راجع: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ط.دار الكتب العلمية(بيروت–لبنان)، الأولى، ٢٠٠٦م ١/٣٨٠، سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٦، ٣٥٣

ثالثا: ما روي على صيغة (تَفَعَّل)

- الشاهد القِرائي:

(تَذَكَّرُون) في قول الله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ...قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[١] حيث رواها أبو الدرداء (تَـتَـذَكّرون) بتاءين وتخفيف الذال.

- توثيق القراءة:

قال ابنُ مجاهد: "اختلفوا في تشديد الذال وتخفيفها وزيادة ياء في قوله:(قليلا ما تذكرون) فقرأ ابنُ كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: (قليلا ما تذّكّرون) مشددة الذال والكاف، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: (قليلا ما تَذَكّرون) خفيفة الذال مشددة الكاف، وقرأ ابنُ عامر:(قليلا ما يَتَذَكَّرُون) بياء وتاء. وقد رُوي عنه بتاءين"[٢].

قال ابنُ خالويه: "قليلا ما تَتَذَكَّرُون: أبو الدرداء وابن عامر وعنه أيضا يتذكرون بالياء. قليلا ما يَذّكّرون بالياء مجاهد."[٣]

- التوجيه:

قرأ أبو الدرداء وابنُ عامر (تَتَذَكّرون) بتاءين وتخفيف الذال "على مخاطبة حاضِرين، وهي كقراءة من قرأ :(تذّكّرون، وتذَكّرون) إلا أنه أظهر ما أدغمه من قال:(تذّكّرون)، وما حذفه من قال:(تذَكّرون)."[٤]

---

(١) الأعراف/٣
(٢) السبعة ص٢٧٨، وراجع أيضا: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/٤، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة ص٥١١، معجم القراءات ٥/٣
(٣) مختصر ابن خالويه ص٤٧، وراجع أيضا: المحرر الوجيز ٣٧٣/٢، مفاتيح الغيب ٢٢/١٤، البحر المحيط ٢٦٨/٤، الدر المصون ٥/ ٢٤٧، حاشية الشهاب الخفاجي ١٤٨/٤، روح المعاني ٧٨/٨
(٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/٤، المحرر الوجيز ٣٧٣/٢

والقراءة بتاءين إنما هي على أصل الوجهين الآخرين من القراءة؛ "إذ إن أصل قراءة (تَذّكّرون) بتشديد الذال والكاف (تَتَذَكّرون) فأدغمت تاءُ تفعّل في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه فصارت(تذّكّرون)، ومن قرأ (تَذَكَّرون) فالأصل –أيضا– تَتَذَكّرون، إلا أنه حذف إحدى التاءين، وهي التاء الثانية لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دخلتْ على معنى فعلت الشيء على تمهُّل."(١)

✍– التحليل والمناقشة:

القراءة موضع التحليل هي قراءة (تَـتَـذَكّـرون) بإظهار التاءين دون إدغام تاء تفعّلَ في الذال، وهذه القراءة بتاء الخطاب تتناغم ومساق الآية الكريمة وأسلوبها الخطابيّ هكذا: (اتبعوا– إليكم– ربكم– ولا تتبعوا)؛ مما يقوّي القراءة بالتاء؛ حيث يُوَجّه "الخطاب لجميع الناس كما هو الظاهر؛ إذ إنه أمر للأمة باتباع ما أنزل إليهم من ربهم من قرآن وسنة"(٢).

وهذه القراءة بتاء الخطاب سواء مع الفك(تتذكّرون) أم مع الإدغام (تذَكّرون– تذّكّرون) المعنى فيها جميعا واحد هو: " قليلٌ تذكّركم، أو زمانا قليلا تتذكرون "(٣)، والجملة (قليلا ما تذكّرون) "اعتراض تذييليّ مسوق لتقبيح حال المخاطَبين–على ما قاله غيرُ واحد–"(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١٦/٢، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، الكشف ٤٥٧/١
(٢) البحر المحيط ٢٦٨/٤، وانظر: شرح الهداية ٢٩٧/٢
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٢/١٤، الدر المصون ٢٤٧/٥، وقارن بـــ: المحرر الوجيز٣٧٣/٢
(٤) روح المعاني ٧٨/٨

وتتمة لتحليل هذه القراءة ينبغي التوقف مع أمرين:

أولهما: نسبة القراءة

القراءة موضع التحليل بتاءين (تَــتَــذَكّرون) نُسبت إلى أبي الدرداء والسلمي وابن عباس وهشام والأخفش في رواية عن ابن عامر.

أما نسبتها إلى أبي الدرداء وابن عامر فقد نصّ عليها ابنُ خالويه حيث قال: "قليلا ما تَتَذَكَّرُون: أبو الدرداء وابن عامر، وعنه أيضا يتذكرون بالياء"(١)، وكذا أبو حيّان الذي نسب القراءة بإثبات التاءين إلى أبي الدرداء وابن عامر ومعهما ابن عباس.(٢)

أما رواية التاءين عن ابن عامر (تــتَــذَكّرون) فقد تواترت على ذلك جلّ كتب القراءات، وهي إحدى الروايتين عنه، والرواية الأخرى عنه بياء وتاء (يَــتَــذَكّرون) كما ذكر ابنُ خالويه وأبو حيان فيما أوردتُه في النصين السابقين، وسبقهما ابن مجاهد فقال:"... وقرأ ابنُ عامر:(قليلا ما يَتَذَكَّرُون) بياء وتاء. وقد رُوي عنه بتاءين"(٣).

وقد نسب الحافظ أبو عمرو أيضا في الجامع القراءة بتاءين فوقيتين إلى ابن عامر في رواية هشام وابن دُحَيْم بإسنادهما عنه، ونسبها صاحب

---

(١) مختصر ابن خالويه ص٤٧، وراجع أيضا: المحرر الوجيز ٣٧٣/٢، مفاتيح الغيب ٢٢/١٤، البحر المحيط ٢٦٨/٤، الدر المصون ٥/ ٢٤٧، حاشية الشهاب الخفاجي ١٤٨/٤، روح المعاني ٧٨/٨

(٢) البحر المحيط ٢٦٨/٤ ، وينظر: معجم القراءات ٥/٣، السبعة ص٢٧٨

(٣) السبعة ص٢٧٨، وقد أكّد الروايتين عن ابن عامر ووجّههما أبو علي الفارسي حيث قال: "وقول ابن عامر:(تتذكّرون) بتاءين كقراءة من قرأ (تذّكّرون، وتذَكّرون) إلا أنه أظهر ما أدغمه من قال:(تذّكّرون)، وما حذفه من قال: (تَذَكّرون). وقول ابن عامر:(يتذكّرون) بياء وتاء، وجهه أنه مخاطبة للنبي أي: قليلا تذكّر هؤلاء الذين ذُكِّروا بهذا الخطاب". الحجة للقراء السبعة ٦/٤

الكامل إلى أبي بشر، وابن مِقْسَم، والسُّلَمِي عن ابن عامر، ونسبها ابن عطية والرازي والسمين الحلبي لابن عامر أيضا دونَ إسناد لراوٍ بعينه، أما الشهاب الخفاجي والألوسي فقد جعلا القراءة من طريق شاذّة للأخفش عن ابن عامر.(١) ولكن ينبغي التنبيه إلى أن الداني لم يذكر القراءة في التيسير، ولا الشاطبي في الحرز، ولا ابن الجزري في النشر(٢)؛ ومن ثم فالراجح أن القراءة انفرادة عن ابن عامر، وأنها ليست متواترة كما صرّح الخفاجي والألوسي.

والأمر الثاني: رسم القراءة

بيْن القراءة موضع التحليل(تَـــتـــذَكّرون)، وبين الرواية الأخرى لابن عامر (يـــتـــذكرون) تشابه في الرسم؛ إذ إنهما بحرفين، وهو كذلك في مصاحف أهل الشام يقول المهدوي:"(قليلا ما يَـــتَذكرون) بحرفين في أول الأعراف: أهل الشام"(٣).

أما في سائر المصاحف فالرسم بحرف واحد:(تذّكّرون-تذَكّرون) ، وهذا ما ذكره أبو عمرو في باب ذكر ما اخْتَلَفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من الإمام بالزيادة والنقصان حيث قال: "في

(١) راجع على الترتيب: جامع البيان ص٥١١، الكامل في القراءات العشر لأبي القاسم يوسف بن علي بن جُبارة بن عَقيل الهذلي ص٥٥٠، المحرر الوجيز ٣٧٣/٢، مفاتيح الغيب ٢٢/١٤، الدر المصون ٢٤٧/٥، حاشية الشهاب الخفاجي١٤٨/٤، روح المعاني ٧٨/٨ وزاد د. الخطيب في معجم القراءات ٥/٣:"ابن ذكوان في روايةٍ عن ابن عامر" ولم أعثر عليه في كتب القراءات.

(٢) راجع: التيسير ص ١٠٩، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ص٢٦٩، النشر٢٠١/٢

(٣) هجاء مصاحف الأمصار ص٩٨

الأعراف في مصاحف أهل الشام(يتذكرون) بالياء والتاء، وفي سائر المصاحف(تذكرون) بالتاء من غير ياء."[١]

واللافت من النصين السابقين أن المهدوي وأبا عمرو الداني أكدا أن رسم مصاحف الشام بياء وتاء(يتذكرون)[٢] وهي إحدى الروايتين عن ابن عامر، دون نص على الرواية الأخرى عنه بتاءين فوقيتين (تَـتَـذَكّرون).

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص١٠٧، فهو في مصاحف أهل الحجاز والعراق بتاء واحدة(تذكرون). راجع:مختصر التبيين لهجاء التنزيل للإمام أبي داود سليمان بن نجاح ص٥٣٠

(٢) وهذا أيضا ما وجدته عند الإمام أبي داود بن سليمان بن نجاح في كتابه: مختصر التبيين لهجاء التنزيل ص ٥٣٠ حيث نصّ صراحة على أن مصاحف الشام بياء وتاء فقال:"وكتبوا في مصاحف أهل الشام(يتذكرون) بزيادة ياء معجمة باثنتين من تحتها قبل التاء(يتذكرون)، وكذلك قرأنا لقارئهم." ويقصد بالقارئ قارئ أهل الشام: عبد الله بن عامر.

رابعا: ما رُوي مبنيّا للمفعول

✍- الشاهد القِرائي:

(نَتّخِذَ) في قول الله: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۡبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ...﴿١٨﴾﴾ [١]حيث رواها أبو الدرداء(نُـــتَّخَذَ)بضم النون وفتح الخاء.

✍- توثيق القراءة:

قال الفراء:" وقوله : سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ... والقراء مجتمعة على نصب النون فى (نَتَّخِذَ) إلا أبا جعفر المدنىّ فإنه قرأ (أن نُـــــتّخَذَ) بضم النون ...."[٢].

وقال ابنُ خالويه:"أن نُتّخَذَ من دونك بضم النون السُّلَمي وزيد بن علي وأبو الدرداء وأبو جعفر."[٣]

وقال ابنُ جني:" ومن ذلك قراءة زيد بن ثابت وأبي الـــدرداء وأبـــي جعفر ومجاهد – بخلاف – ونصر بن علقمة، ومكحول، وزيد بن علي، وأبي رجاء والحسن – واختلف عنهما – وحفص بن حميد، .... : "نُتَّخَذَ"، بضـــم النون."[٤]

---

(١) الفرقان/١٨

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٤،٢٦٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٦٠، إعراب القرآن للنحاس٣/١٥٤

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٥، وينظر: المبسوط للأصبهاني ص٣٢٢، جامع البيان ص٦٤٥، الكامل في القراءات العشر ص٦١٠، شواذ القراءات للكرماني ص٣٤٧

(٤) المحتسب١١٩/٢، وينظر: النشر ٢/٢٥٠، الإتحاف ٢/٣٠٦، معجم القراءات ٦/٣٣١

وقال ابنُ الجزري:" واختلفوا في(أن نتخذ) فقرأ أبو جعفر بضم النون وفتح الخاء وهي قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي رجاء وزيد بن علي وجعفر الصادق وإبراهيم النخعي بن عبيد ومكحول...."(١)

✍- التوجيه:

قرأ أبو جعفر المدني والحسن وأبو الدرداء وابن عامر وغيرهم : (نُتَّخَذَ) بضم النون وفتح الخاء على ما لم يُسمّ فاعله، ولهذه القراءة وجه نحوي –وهو الأحسن- كشف عنه أبو الفتح الذي جوّز زيادة(مِن) فقال: "أما إذا ضمت النون فإن قوله: "مِن أَولياء" في موضع الحال، أي : ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذ من دونك أولياء، ودخلت (من) زائدة لمكان النفي، كقولك: اتخذت زيدا وكيلا، فإن نفيت قلت: ما اتخذت زيدا من وكيل. وكذلك أعطيته درهما، وما أعطيته من درهم، وهذا في المفعول...وقوله: (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُتَّخَذَ) أي: لسنا ندّعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا."(٢)

✍- التحليل والمناقشة:

قرأ جمهورُ القراء (أن نَتّخِذَ) بفتح النون وكسر الخاء مبنيا للفاعل، وهذا هو الأوْلى عند النحويين(٣)، وتوجيه ذلك أن قوله: (من أولياء) في موضع المفعول به، و(مِن) مزيدة لتأكيد معنى النفي، وحسّن زيادتَها انسحب

(١) ٢٥٠/٢ وراجع: الطبري ٤١٧/١٧، الكشاف ٣٣٩/٤، المحرر الوجيز ٢٠٤/٤، مفاتيح الغيب ٦٢/٢٤، الجامع لأحكام القرآن ٣٧٨/١٥، أنوار التنزيل ١٢٠/٤

(٢) المحتسب ١٢٠/٢ وانظر: النشر ٢٥٠/٢، الكشاف ٣٣٩/٤، مفاتيح الغيب ٦٢،٦٣/٢٤، الإتحاف٣٠٦،٣٠٧/٢، وقد جمع آراء النحاة واللغويين وناقشها: الجامع لأحكام القرآن ٣٧٨،٣٧٩/١٥، أبو حيان في البحر المحيط ٤٤٨/٦، والسمين الحلبي في الدر المصون ٤٦٥/٨، والألوسي في روح المعاني ٢٤٩،٢٥٠/١٨، وراجع أيضا: معجم القراءات٣٣١/٦

(٣) الزجاج ٦٠/٤، النحاس ١٥٤/٣

النفي على (نتّخذ) لأنه معمول لـــــــ(ينبغي) وإذا انتفى متعلقه، وهو اتخاذ الأولياء، بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نَتّخِذَهم من دونك أولياء[١]، وهذه القراءة هي القراءة الأصح والأقوى، وهي قراءة الجمهور، والقراءة المختارة عند النحويين لإجماع الحجة من القراء عليها، وتناسبا مع مساق الآية قبل ذلك: (ما كان يَنبغِي لنا)[٢].

رواية البناء للمجهول(نُتّخذ) بين القبول وبين الشذوذ والتخطئة:

قرأ أبو جعفر وأبو الدرداء وغيرهما (نُتّخَذَ) بالبناء للمجهول، ورُغم أن الفراء[٣] شذّذ هذه القراءة وأجازها على ضعف، زاعما أن أبا جعفر تفرد بها، وجاء أبو إسحاق الزجاج وأبو جعفر النحاس فخطآها وحكما بعدم جوازها البتة[٤]، فإن ابنَ جني ذكر لقراءة البناء للمفعول وجها وحسنا ونقلتُه عنه في العنصر السابق، وعلاوة على ذلك فللقراءة بالبناء للمجهول وجوه أخرى تدعمها وتجيزها منها:

أولا: ما ذكره الزمخشري من أن الفعل: نُتَّخَذ، أو اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك: اتخذ ولياً، وإلى مفعولين كقولك: اتخذ فلاناً ولياً. فالقراءة الأولى(نَتّخِذَ) من المتعدي إلى واحد وهو (مِنْ أَوْلِيَاء) والأصل: أن نتخذ أولياء، فزيدت (مِن) لتأكيد معنى النفي، والثانية(نُتَّخَذَ- موضع

(١) ينظر: الطبري ٤١٨/١٧، المحتسب ١٢٠/٢، الرازي ٦٢،٦٣/٢٤، إتحاف فضلاء البشر ٣٠٦،٣٠٧/٢

(٢) ولعلل أخرى فصلها الطبري. راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤١٨/١٧، الكامل ص٦١٠

(٣) معاني القرآن ٢٦٤/٢

(٤) معاني الزجاج ٦١/٤، إعراب النحاس ١٥٥/٣، ولا أتصور كيف يستقيم لعلمائنا تخطئة بعض القراءات، مع أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخِر عن الأول، وإذا تواترت فقد نزلت من عند الله؛ ومن ثم فهي صواب، لا مجال للرأي فيها.

الشاهد): من المتعدي إلى مفعولين؛ المفعول الأول ما بني له الفعل، والثاني: (مِنْ أَوْلِيَاء). ومِنْ تبعيضية لا زائدة، أي: لا نتخذ بعض أولياء. وتنكير (أَوْلِيَاء) من حيث إنهم أولياء مخصوصون وهم الجنّ والأصنام..."[١]

ثانيا: تفسير هذه الآية -بقراءتيها- عند الرازي على وجوه: أولها -وهو الأصح- على قراءة الجمهور(نَتّخِذ): أن المعنى إذا كنا لا نرى أن نَتّخذ من دونك أولياء فكيف ندعو غيرنا إلى ذلك. أما المعنى على قراءة أبي جعفر(نُتّخَذ-موضع الشاهد) فلا إشكال فيه عند الرازي؛ حيث دفع قولَ من يقول: هذه القراءة غير جائزة، بحجة أنه لا مدخل لهم في أن يتخذهم غيرهم أولياء، ورَدَّ على ذلك بقوله: المراد إنا لا نصلح لذلك، فكيف ندعوهم إلى عبادتنا.[٢]

ثالثا: إذا كانت قراءةُ الجمهور (نَتَّخِذَ) تتنادى ومساق الآية والفعل قبلها(يَنْبَغِي لنا) بالبناء للمعلوم؛ فإنّ هذه القراءة موضع التحليل(نُتَّخَذَ) تتناغم والقراءة الأخرى للفعل الذي قبلها (يُنْبَغَى) بالبناء للمجهول[٣]، وتتناسب معها، والقراءتان تتضافران في تقديم جواب لاحق للاستفهام السابق: (أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيل؟) فقراءتا الجمهور وغيرهم: (نَـتَّـخِـذ- نُـتَّـخَـذَ) متكاملتان في تنزيه المعبودات كلها عن إضلال العبدة المشركين؛ فلسانُ حال المعبودات ومقالُ مطيعهم وعاصيهم: لا

(١) الكشاف ٣٣٩/٤

(٢) راجع: تفسير الفخر الرازي ٦٣/٢٤

(٣) (يُنْبَغَى) بضم الياء وفتح الغين هي قراءة عاصم الجحدري وأبي عيسى الأسود القارئ. راجع مختصر ابن خالويه ص١٠٥، البحر المحيط ٤٤٧/٦، روح المعاني٢٤٩/١٨، معجم القراءات ٣٣٠/٦

يُتصور أن نَتَكلف اختيارَ ولي من دونك، ولا يُعقل أن يَتخذنا أحدٌ آلهةً نتولى أموره.

وهذا هو مقصود السورة الأعظم الذي صرّح به مطلع السورة الذي يقرر وحدانية الله وفرديته، فهو–عز وجل – لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك، ومسماها(الفرقان) واضح الدلالة على ذلك، فكتاب الله فارق مميِّز بين الحق والباطل، وجاءت السورة كلها لتحقيق ذلك مستعملة هذا الفعل موضع التحليل ومشتقاته (اتخذ– يتّخذ– نتّخذ–أتّخذ–يتّخذونك) ما يقرب من عشر مرات فهو من المفردات المحورية المجسدة لمقصود السورة الأعظم وأحداثها ومراميها.

رابعا: (نُتَّخَذ) بالبناء للمجهول قرأ بها أبو جعفر المدني، وذكرها صاحب النشر[١]، فهي قراءة متواترة عشرية، قرأ بها عددٌ كبير من القراء، ولم يتفردْ بها أبو جعفر –كما زعم الفراء والزجاج–[٢] ، وهؤلاء القراء هم: أبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن علي وأخوه الباقر ومكحول والحسن وابن عامر وحفص بن عبيد والنخعي والسُّلَمي وشيبة وأبو بشر والزعفراني ويعقوب وجعفر الصادق ومجاهد –بخلاف– وغيرهم كما سيأتي بيانه، والقراء إنما يقرأون بما يرْوُوْن لا بما يَرَوْن.

نسبة القراءة:

القراءة بالبناء للمجهول (نُتّخذ) نسبت إلى جلة من القراء ، حيث نَسَبها إلى أبي جعفر المدني وحده: الفراءُ والزجاج والزمخشري والبقاعي

(١) راجع: النشر ٢/٢٥٠، شرح طيبة النشر ص٢٨٧

(٢) راجع: معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٤، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٦٠

والبنا الدمياطي، ونسبها الطبري والنحاس والقرطبي إلى الحسن وأبي جعفر، ونسبها ابنُ خالويه إلى: السُّلَمِي وزيد بن علي وأبي الدرداء وأبي جعفر، ونسبها الأصبهاني إلى أبي جعفر وزيد بن ثابت، أما ابن جني فقد نسبها إلى عدد كبير من القراء هم: زيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو جعفر ومجاهد – بخلاف – ونصر بن علقمة ومكحول وزيد بن علي وأبو رجاء والحسن – واختلف عنهما – وحفص بن حميد وأبو عبد الله محمد بن علي، ونسبها الداني والرازي إلى أبي جعفر ، وابن عامر في تفرد شاذ عنه، وعند ابن عقيل الهذلي: الزعفراني وأبو جعفر وشيبة وأبو بشر، وفي المحرر الوجيز: أبو جعفر والحسن وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة ومكحول وزيد بن علي وحفص بن حُميد، ومنسوبة عند الكرماني إلى: مجاهد وأبي جعفر، وعند أبي حيان والألوسي: أبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن علي وأخوه الباقر ومكحول والحسن وأبو جعفر وحفص بن عُبيد والنخعي والسلمي وشيبة وأبو بشر والزعفراني، وفي الدر المصون: أبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء والحسن وأبو جعفر وآخرون، أما ابن الجزري فقد نسب القراءة إلى أبي جعفر، وذكر أنها –أيضا– قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي رجاء وزيد بن علي وجعفر الصادق وإبراهيم النخعي بن عبيد ومكحول، ودون نسبة عند البيضاوي.[1]

(١) راجع على ترتيب المذكورين في المتن: معاني الفراء ٢٦٤/٢،معاني الزجاج ٦٠/٤، الكشاف٣٣٩/٤، نظم الدرر٣٦٢/١٣، الإتحاف ٣٠٦/٢، جامع الطبري ٤١٧/١٧، إعراب النحاس ١٥٤/٣، تفسير القرطبي ٣٧٨/١٥، مختصر ابن خالويه ص١٠٥،المبسوط ص٣٢٢، المحتسب ١١٩/٢،جامع البيان في القراءات السبع ص٦٤٥، مفاتيح الغيب٦٢/٢٤، الكامل ص٦١٠، المحرر الوجيز ٢٠٤/٤، شواذ القراءات للكرماني ص٣٤٧، البحر المحيط ٤٤٧/٦،روح المعاني٢٤٩/١٨، الدر المصون ٤٦٥/٨، النشر ٢٥٠/٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٢٠/٤

المحور الثالث

الدراسة النحوية لمرويات آل الدرداء

المبحث الأول: ما رُوِيَ فيه زيادة

✍- الشاهد القِرائي:

وبالزبر وبالكتاب في قول الله- تعالى-: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[1] حيث روت الحرفين أمّ الدرداء عن أبي الدرداء بزيادة الباء:(... وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِير).

✍- توثيق القراءة:

قال ابن مجاهد: "قوله: (بِالبَيّنَاتِ وَالزّبُر) قرأ ابن عامر وحده:(بالبينات وبالزبر) وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون: (والزبر) بغير باء."[2]

قال ابن خالويه:"وقوله تعالى:(بالبينات والزبر) قرأ ابن عامر (وبالزبر) بالباء، وكذلك في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون بغير باء...وأما هشام فإنه قرأ(بالكتاب) بزيادة الباء، والباقون بغير زيادة الباء."[3]

---

(١) آل عمران/١٨٤

(٢) السبعة ص٢٢١ وراجع:كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني ص٥٤، المبسوط ص١٧٢، التذكرة ٣٠٠/٢

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها ١٢٥/١ وراجع حجة ابن زنجلة ص١٨٥، الكشف ٣٧١/١، ٣٧٠

وفي هجاء مصاحف الأمصار:"(وبالزبر والكتاب) بزيادة باء في بالزبر في مصاحف أهل الشام خاصة. وفي رواية هشام: زيادةُ الباء في (بالزبر وبالكتاب)."[١]

وفي جامع البيان:" وأقرأني أبو الفتح عن قراءته على عبد الله بن الحسين عن محمد بن عبدان والحسن بن أحمد عن الحلواني عن هشام(بالزبر وبالكتاب) بزيادة باء في الكلمتين جميعا كاللتين في فاطر المجتمع عليهما، وكذلك أقرأني أبو الحسن عن قراءته من طريق الحلواني عن هشام، وعلى ذلك جميع أهل الأداء عن الحلواني عنه، الفضل بن شاذان والحسن بن أبي مهران وأحمد بن إبراهيم البلخي وغيرهم. وقال لي فارس بن أحمد: قال لي عبد الباقي بن الحسن، شك في ذلك الحلواني، فكتب إلى هشام فيه ، فأجابه أن الباء ثابتة في الحرفين، وهذا هو الصحيح عندي عن هشام؛ لأنه قد أسند ذلك من طريق ثابتة إلى ابن عامر، ورفع مرسومه من وجه مشهور إلى أبي الدرداء صاحب النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم، كما حدثنا خلف بن إبراهيم المقرئ، قال: حدثنا محمد بن أحمد المكي، قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا القاسم بن سلام ، قال: حدثنا هشام بن عمار عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الذماري عن عبد الله بن عامر، قال هشام: وحدثنا سويد بن عبد العزيز أيضا عن الحسن بن عمران عن عطية بن قيس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء: في مصاحف أهل الشام في سورة آل عمران: (جاؤوا بالبينات وبالزبر وبالكتاب) كلهن بالباء، قال أبو عمرو: وكذا ذكر أبو حاتم سهل بن محمد أن الباء مرسومة في(وبالزبر وبالكتاب) جميعا في مصحف أهل حمص الذي

(١) المهدوي ص٩٧

بعث به عثمان إلى أهل الشام، وقرأ الباقون بغير باء في الكلمتين على ما في مصاحفهم."(١)

✍- التوجيه:

قرأ هشام الأحرف الثلاثة بالباء، وكذا روتها أم الدرداء عن أبي الدرداء عن مصاحف أهل الشام هكذا: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ وقرأ الباقون بطرح الباء في الحرف الثاني والثالث، وأما عن زيادة الباء فقد "اختلف النحويون في ذلك. فقالت طائفة: إثباتها وطرحها بمعنى واحد. وفرق الخليل بينهما فقال: إذا قلت: مررت بزيد وعمرو فكأنك مررت بهما في مرور واحد. وإذا قلت: مررت بزيد وبعمرو، فكأنك قد مررت بهما في مرورين حتى تقع الفائدة بإثبات الحرف، لأنه جاء لمعنى"(٢).

---

(١) جامع البيان ص٤٦٩ وفي المقنع: "وفي مصاحف أهل الشام " و بالزبر وبالكتاب المنير " بزيادة باء في الكلمتين ، كذا رواه لي خلف بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد ،عن علي، عن أبي عبيد، عن هشام بن عمار، عن أيوب بن تميم، عن يحيى بن الحارث، عن ابن عامر، وعن هشام، عن سويد بن عبد العزيز، عن الحسن بن عمران، عن عطية بن قيس، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن مصاحف أهل الشام. وكذلك حكى أبو حاتم أنهما مرسومان بالباء في مصحف أهل حمص الذي بعث به عثمان إلى الشام. وقال هارون بن موسى الأخفش الدمشقي: إن الباء زيدت في الإمام -يعني الذي وُجّه به إلى الشام- في " وبالزبر " وحدها.

ــ وروى الكسائي عن أبي حيوه شريح بن يزيد أن ذلك كذلك في المصحف الذي بعث به عثمان إلى الشام. والأول أعلى إسنادا، وهما في سائر المصاحف بغير باء" ص٥٧٢-٥٧٤ وراجع للداني أيضا: التيسير ص٩٢، وقارن بمختصر التبيين ٣٨٥،٣٨٦/٢

(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١١٨ ، وانظر لابن خالويه أيضا: إعراب القراءات السبع وعللها ١٢٥/١

فكذلك قراءة الجمهور: (جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وكأن الرسل جاءت بها في حال ووقت واحد، وأما القراءة الأخرى فتعني أنهم:(جاؤوا بالبينات) ثم جاؤوا (بالزبر) ثم جاؤوا (بالكتاب المنير)، فإثبات الحرف قد جاء لمعنى ذاك أن الرسل جاءت بالبينات وهي المعجزات أولا، ثم جاؤوا بعد ذلك بالزبر أي الصحف، ثم جاؤوا بعد ذلك بالكتاب المنير أي:التوراة والإنجيل والزبور.[١]

✍- التحليل والمناقشة:

من النصوص التي عرضتُها في عنصر التوثيق يُستنبط أنه قد قرأ جمهورُ القراء الآيةَ بباءٍ في الحرف الأول فقط هكذا:﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ مع عطف الزبر والكتاب على البينات دون إعادة الجارّ.

وأما الحرف الثاني: (الزبر) فقد قرأه ابنُ عامر بإعادة باء الجر بعد حرف العطف هكذا: (وبالزبر) وهذا رسمه في مصحف أهل الشام، ورواه ابن أبي داود السجستاني بسنده في كتاب المصاحف، وزاد نسبتَها لإمام أهل الحجاز أيضا[٢].

وأما الحرفُ الثالث (الكتاب) فقد روى هشام -بخلاف عنه- عن ابن عامر: (وبالكتاب) بإعادة الجارّ بعد واو العطف، وهو ثابتٌ أيضا بالباء في مصاحف أهل الشام كما أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن أم الدرداء

(١) ينظر: معاني القراءات للأزهري ٢٨٧/١، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١١٤/٣، حجة القراءات لأبي زرعة ص١٨٥، الكشاف٦٦٩/١

(٢) المصاحف ص٥٤ ، وراجع:الإتحاف ٤٩٧/١

عن أبي الدرداء[١]، وكما روى أبو عمرو الداني بأسانيدَ متعددة أعلاها ما رواها عن أبي الدرداء.[٢]

هذا عن قراءة الحَرفين ورسمهما في مصاحف الإمام، وأما عن توجيه ذلك نحويا للتفرقة بين ما روته عامة القَرَأَة بطرح الباء في الحرفين، وبين ما رواه ابن عامر وهشام وأبو الدرداء عن مصاحف أهل الشام بإثبات الباء فيها جميعا، ثم اختلاف النحاة من بعد ذلك حول تحقيق إعادة حرف الجر دلالة من عدمه فمن الأهمية بمكان أن نقف بداية على مقصود الآي ومساقها.

مقصود الآية: " المقصود من هذا الكلام تسلية رسول الله وإيناسه وتعزيته، وبيان أن هذا التكذيب ليس أمرا مختصا به من بين سائر الأنبياء، بل شأن جميع الكفار تكذيب جميع الأنبياء والطعن فيهم، مع أن حالهم في ظهور المعجزات عليهم وفي نزول الكتب إليهم كحالك، ومع هذا فإنهم صبروا على ما نالهم من أولئك الأمم واحتملوا إيذاءهم في جنب تأدية الرسالة، فكن متأسيا بهم سالكا مثل طريقتهم، وإنما صار ذلك تسلية لأن المصيبة إذا عمت طابت وخفّت"[٣]، مع تثبيت المؤمنين لما أصابهم يوم أحد.

سياق الآي: "السياق لإثبات مبالغتهم في الغلظة والجفاء والكفر وعدم الوفاء، والسورةَ سورة التوحيد، والرسل متفقون عليه، وقد أتى كل منهم فيه بأنهى البيان وأزال كل لبس... ولما كانت تسلية الإنسان بمن

(١) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لابن سلام تحقيق أ/أحمد عبد الواحد الخيّاطي ط.فُضالة بالمغرب، ١٩٩٥م ١٥٨/٢ وما بعدها.

(٢) راجع جامع البيان ص ٤٦٩ ، المقنع ص٥٧٢-٥٧٤، التيسير ص٩٢

(٣) الرازي ١٢٨/٩،١٢٧

قاربه في الزمان أشدّ أثبث الجارّ فقال: (من قبلك) أي: فَلَك فيهم مسلاة وبهم أسوة (جآءو بالبينات) أي من المعجزات (والزبر) أي من الصحف المضمنة للمواعظ والحكم الزواجر والرقائق التي يزبر العالم بها عن المساوي (والكتاب المنير) أي الجامع للأحكام وغيرها الموضح لأنه الصراط المستقيم."[١]

وجه قراءة الجمهور: (**بالبينات والزبر والكتاب المنير**)

وجه قراءة الجمهور بإظهار الاسم(بالبينات) والعطف عليه دون باء(والزبر والكتاب المنير) أن إثبات الباء وطرحها بمعنى واحد كما قال بعض أهل النحو، فإذا أظهرت اسما ثم عطفت عليه اسما فلك الاختيار إن شئت عطفته بالباء وإن شئت نويت حذفها؛ ذاك أن الواو العاطفة أغنت عن تكرير العامل(حرف الجر) ألا ترى أنك إذا قلت: مررتُ بزيد وعمرو، أشْرَكَتِ الواوُ عمْرا في الباء، فأنت عن تكريرك الباء مستغنٍ، وكذلك إذا قلت: جاءني زيد وعمرو، فالواو قد أشْركتْ عمرا في المجيء، وكذلك جميع حروف العطف.[٢]

وعدم إعادة حرف الجر حسن ومتجه وهو المستعمل في أكثر القرآن والكلام استخفافا؛ لذا فالحرفان: (والزبر والكتاب) بغير باء هو الاختيار لموافقته أكثر مصاحف الأمصار (المدينة ومكة والكوفة والبصرة).[٣]

---

(١) نظم الدرر ٥/ ١٤٣،١٤٤

(٢) راجع:حجة ابن خالويه ص١١٨،إعراب القراءات السبع ١٢٥/١، معاني الأزهري ٢٨٧/١، حجة أبي علي الفارسي ١١٤/٣، الكامل ص٥٢٣، التبيان في إعراب القرآن ٣١٧/١

(٣) ينظر: الكشف ٣٧٠/١، شرح الهداية ٢٤٣/١، المحرر الوجيز ٥٤٩/١

وجه قراءة هشام بالباء: (بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير)

ذكر الخليل أن إثبات حرف الجر ليس كطرحه بل يكون لفائدة معنوية فإذا قلت: مررت بزيد وبعمرو فكأنك قد مررت بهما في مرورين، وهذا لا يكون في وقت واحد، فكذلك قوله تعالى:(جاؤوا بالبينات) أي المعجِزات، ثم جاؤوا بعد ذلك (بالزبر)، ثم جاؤوا بعد ذلك(بالكتاب المنير)، ووجه قراءة ابن عامر أن إثبات الحرف هو الأصل، وإن تُرك استعماله استخفافا، وقد ثبتت الباء في مصاحف أهل الشام-كما سبق بيانه- وأن إعادة الجارّ(الباء) - وإن كان مُستغنى عنها- إما أن تكون: ضَرْبا من التأكيد؛ أي أن إعادة الباء متجهة لأجل التأكيد.

وإما أن تكون للدلالة على أن الزبر مغايرة للبينات بالذات؛ بأن يراد بالبينات المعجزات وهي غير الزبر والكتاب المنير؛ لأن إعادة العامل تقتضي المغايرة، ولولاها لجاز أن يكون من عطف الخاص على العام.[١]

بين وجهي الجمهور وهشام:

كلا الوجهين حسن عربي[٢]، والخطب سهل، فمن لم يأت بالباء اكتفى بالعطف، ومن أتى بها كان ذلك تأكيدا[٣] أو دلالة على التغاير بين المتعاطفات، وأنها ليست بمعنى.

---

(١) راجع:حجة ابن خالويه ص١١٨، حجة أبي علي الفارسي ١١٤/٣، حجة أبي زرعة ص١٨٥، الكشف ٣٧٠/١، شرح الهداية ٢٤٣/١، المحرر الوجيز ٥٤٩/١، الرازي ١٢٨/٩، أنوار التنزيل ٥٢/٢، البحر المحيط ١٣٨/٣، الدر المصون ٥١٩/٣، حاشية الشهاب ٨٧/٣، روح المعاني ١٤٥/٤

(٢) حجة أبي علي الفارسي ١١٤/٣

(٣) الدر المصون ٥١٩/٣ وقد عقب د.عبد اللطيف الخطيب في معجمه٦٩٣/١ على كلام الشيخ الحلبي فقال:"قلت: ليس الخطب سهلا؛ لأن الإشكال في النقل، وليس في تخريجها على وجه من وجوه العربية؛ فإن التخريج ممكن، وبابه في العربية واسع." قلتُ: لا إشكال في النقل فقد رُوي الوجهان عن هشام سواء رُجح أحد الوجهين أو لم يُرَجّح فكلاهما صحيح، وتخريهما ممكن، وأبواب العربية وسيعة؛ لذا فالخطب سهل.

وهنا تنبغي الإشارة إلى أنه إذا كان ترك الحرف –كما هو في قراءة الجمهور– أكثر استعمالا في القرآن الكريم وفي الكلام عموما، وأخصر وأخفّ كما بينّا من قبل؛ فإن تكرير حرف الجر – كما في رواية هشام – يتناسب ومقام تسلية الرسول وتثبيته، لأن التكرير يفيد توكيد تكذيب الأمم السابقة لرسلهم في كل ما جاؤوا به من البينات والزبر والكتاب منير، مما يؤنس رسول الله وصحابته فيصبروا ويتحملوا نشرا للدين، وإعلاء لكلمة الله.

رواية هشام عن ابن عامر بالباء والخلف فيها بين الحذف والإثبات:

قد اتُّفِق على إثبات الباء في (بالزبر وبالكتاب) في آية فاطر/٢٥، واتُّفق أيضا على إثبات الباء في(بالزبر) في آل عمران/١٨٤ في المصحف الشامي، والخلاف إنما وقع في رواية هشام (بالكتاب) في آية آل عمران موضع التحليل.

أما كتبُ القراءات رواية ودراية فقد أثبتت ما رواه هشام بالباء في (بالكتاب)، وأوردته أيضا كتب رسم المصحف؛ لأنه مرسوم في مصحف أهل الشام بالباء كما أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن أم الدرداء عن أبي الدرداء[١].

هذا وقد أسند الداني ما أسنده الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، وهي أسانيد متعددة أعلاها وأثبتها ما رواها عن أبي الدرداء، وإن كان الداني ذكر ما رواه هارون بن موسى الأخفش، وما رواه الكسائي عن أبي حيوة من أن الباء زيدت في المصحف الشاميّ في(بالزبر) وحدها، فقد رجّح الداني– فـــي

(١)فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لابن سلام ١٥٨/٢ وما بعدها.

المقنع- ثبوت الباء فيهما جميعا فقال بعدما أورد الرأيين بروايتيهما: والأول(يعني المروي عن أبي الدرداء من ثبوت الباء) أعلى إسنادا.

بل قطع بصحة رواية ثبوتها -في جامع البيان- فقال نصّا: "وهذا هو الصحيح عندي عن هشام؛ لأنه قد أسند ذلك من طريق ثابتٍ إلى ابن عامر، ورفع مرسومَه من وجه مشهور إلى أبي الدرداء صاحب النبي (صل الله عليه وسلم)."(١)

أما الجَعْبَري فقد رجّح قول أبي عمرو الداني فقال:"ومذهب المقنع هو الصحيحُ؛ لأنا لو فرضنا تساوي الروايتين قدّم المثبت على النافي"(٢).

وقد نقل ابن الجزري أن الحلواني شكّ في إثبات الباء (وبالكتاب) فكتب إلى هشام فيه فأجابه: "إن الباء ثابتة في الحرفين". ثم قال ابن الجزري: "وكذا رأيته أنا في المصحف الشامي في الجامع الأموي". ثم أشكِل عليه من تضارب الروايات فقال: "ولولا رواية الثقات عن هشام حذف الباء أيضا لقطعتُ بما قطع به الداني"، لكنه حسم الأمر فقال: "وقطع الحافظ أبو العلاء عن هشام من طريق الداجوني والحلواني جميعا بالباء فيهما، وهو الأصح عندي عن هشام، ولولا ثبوت الحذف عندي عنه من طرق كتابي هذا لم أذكره."(٣)

---

(١) راجع جامع البيان ص ٤٦٩ ، المقنع ص٥٧٢-٥٧٤، التيسير ص٩٢

(٢) جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد للإمام برهان الدين الجَعْبري (ت٧٣٢هـ) تحقيق: د. محمد إلياس نشر:برنامج الكراسي البحثية بجامعة طيبة بالمملكة العربية السعودية، الأولى ٢٠١٧م ٤٤٣/١

(٣) النشر ١٨٤،١٨٥/٢

وفي مقابل ذلك فإن الأصفهاني قال:"وتأملت مصاحفهم(يقصد مصاحف أهل الشام) فرأيت فيها(والكتاب) بغير باء(وبالزبر) بالباء."(١)

أما السخاوي قد صحّح الحذف وقال:" والذي قاله الأخفش هو الصحيح إن شاء الله لأني كذلك رأيته في مصحفٍ لأهل الشام عتيق، يغلب على الظن أنه مصحف عثمان رضي الله عنه، أو هو منقول عنه."(٢)

ولابن عاشور تعقيب على انفراد هشام بهذه الرواية في هذا الموضع حيث قال:"وقد قيل: إنه كُتب كذلك في بعض مصاحف الشام العتيقة، وليست في المصحف الإمام. ويوشك أن تكون هذه الرواية لهشام عن ابن عامر شاذّة في هذه الآية، وأن المصاحف التي كُتبت بإثبات الباء في قوله(وبالكتاب) كانت مملاة من حفاظ هذه الرواية الشاذة."(٣)

قلتُ: وفي كلام ابن عاشور ومن سار على هدْيهم نظر؛ فقد أخرج الروايةَ -كما سبق بيانه- أبو عبيد والداني، وإنه يلزم من قول الأصفهاني والأخفش والسخاوي وابن عاشور إغفال رواية هشام عن ابن عامر إثبات الباء (بالكتاب) وهي قراءة صحّحها ورجّحها وقطَع بها الداني والجَعبري وابنُ الجزري، وأسندها-من قبلهم- ابنُ سلّام.

---

(١) المبسوط ص١٧٢

(٢) الوسيلة إلى كشف العقيلة للشيخ علم الدين السخاوي(ت٦٤٣هـ) تحقيق:د. مولاي محمد الطاهري ط. مكتبة الرشد ناشرون بالسعودية، الثانية ٢٠٠٣م ص١٣١

(٣) التحرير والتنوير١٨٧/٤ ولو قارنت بين ما ذكره الإمام السخاوي، وبين ما نقله ابن عاشور في نصه الذي أوردتُه ستجد تضاربا فيما يقصدونه مُثْبَتا في المصحف العتيق لأهل الشام، فبينما يؤكد السخاوي رؤيته الحرف(الكتاب) دون باء في مصحف لأهل الشام عتيق، وأن هذه النسخة التي رآها هي مصحف عثمان، فإنك تُدهش من ابن عاشور الذي يروي قول من قال إنه كُتب بالباء (وبالكتاب) في بعض مصاحف الشام العتيقة، وأنها ليست في المصحف الإمام لأهل الشام، فالأول يرى أن ذاك المصحف العتيق هو مصحف عثمان، والآخر ينقل عمن يقول إن المصحف العتيق ليس المصحف الإمام، والأول رأى ذاك المصحف العتيق دون باء، والثاني يرى أنه في المصحف العتيق بالباء، والله أعلم بكنه ذلك المصحف الشاميّ العتيق!

وفي الشاطبية: وبِالزُّبر الشامي كذا رسمُهم وبِالْـــ كِتــابِ هِشــامٌ واكشفِ الرسمَ مُجمَلا[١]

وأتساءل لِمَ نحكم على الرواية بالشذوذ مع ثبوتها وصحتها، وصحة نظيرها بالإجماع في سورة فاطر/٢٥، حيث قرأته الجماعة بالباء في الحروف الثلاثة:(وإِن يُكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الّذينَ مِنْ قبْلِهِم جاءتْهُم رُسُلُهُمْ بِالْبَيّنَاتِ وَبِالزّبُرِ وَبِالْكِتَاب الْمُنِير).

وإن أردت فاجمع بين النقلين(الحذف والإثبات) كما فعل الجَعبري حيث قال: "ويمكن الجمع بين النقلين بأنها كانت مرسومة ثم دُثرت، فأخبر كلٌّ عما رآه."[٢]

نسبة القراءة:

أما الحرف الأول: (وبالزبر) فقد نُسب إلى ابن عامر وابن عباس وابن ذكوان وهشام والحلواني، وروى أبو الدرداء أن رسمه هكذا في مصاحف أهل الشام، وزاد السجستاني: إمام أهل الحجاز، وزاد البنّا الدمياطي: مصحف المدينة.

وأما الحرف الثاني: (وبالكتاب) فقد قرأ به ابن عامر، وهشام-بخلاف عنه- عن ابن عامر، والحلواني عن هشام، وروى أبو الدرداء رسمه عن مصاحف أهل الشام.[٣]

---

(١) راجع شرح البيت في الوافي للشيخ القاضي ص٢٤١

(٢) جميلة أرباب المراصد ٤٤٣/١

(٣) راجع: فضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٨/٢، الطبري ٢٧٨/٦، كتاب المصاحف ص٥٤، السبعة ص٢٢١، المبسوط ص١٧٢، التذكرة ٣٠٠/٢،هجاء مصاحف الأمصار ص٩٧، جامع البيان في القراءات السبع ص٤٦٩،٤٦٨، التيسير ص٩٢، الكامل ص٥٢٣، الكافي ص٩٧،٩٦، مختصر التبيين ٣٨٦/٢،٣٨٥، الكشاف ٦٦٩/١، المحرر الوجيز ٥٤٩/١، شواذ القراءات ص١٢٦، الرازي١٢٨/٩،الوسيلة ص١٣١، القرطبي٤٤٦/٥، تفسير البيضاوي ٥٢/٢، جميلة أرباب المراصد٤٤٣/١، البحر ١٣٨/٣، الدر المصون ٥١٩/٣، النشر١٨٥/٢،١٨٤، الإتحاف ٤٩٧/١، روح المعاني ١٤٥/٤، التحرير والتنوير ١٨٧/٤

المبحث الثاني: ما رُوِيَ منصوبا

✍- الشاهد القِرائي:

(سورة) في قول الله: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [١]حيث روتها أمُّ الدرداء (سُورةً) بالنصب.

✍- توثيق القراءة:

قال الزجاج:" قوله عز وجل ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ القراءة الرفع، وقرأ عيسى بنُ عمر سورةً بالنصب..."[٢].

قال مكي:"...وقرأ عيسى بن عمر﴿سُورَةً أَنْزَلْنَاهَا﴾ بالنصب على إضمار فعل تفسيره(أنزلناها) تقديره: أنزلنا سورة أنزلناها..."[٣].

قال ابنُ جني: "قراءةُ أمِّ الدرداء وعيسى الثقفي وعيسى الهمداني، ورويت عن عمر بن عبد العزيز: ﴿سُورَةً﴾ بالنصب."[٤]

✍- التوجيه:

قرأ عيسى بن عمر الثقفي وأم الدرداء وغيرُهما (سورةً أنزلناها) بالنصب، ووجّه قراءةَ النصبِ أبو حيان مبينا كلّ الأوجه المحتملة فقال:

---

(١) النور/١

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢٧/٤، وراجع: معاني الفراء٢٤٤/٢، مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢، البيان في غريب إعراب القرآن ١٩١/٢

(٣) مشكل إعراب القرآن ٦١/٢ وراجع: مختصر ابن خالويه ص١٠١، الكامل في القراءات العشر ص٦٠٧، الكشاف ٢٥٦/٤، تفسير الرازي ١٣٠/٢٣، شواذ العكبري ١٧٠/٢، تفسير القرطبي ١٠١/١٥، تفسير البيضاوي ٩٨/٤،الدر المصون ٣٧٨/٨ الإتحاف ٢٩١/٢، فتح القدير ٦/٤

(٤) المحتسب٩٩/٢، وراجع: شواذ الكرماني ص٣٣٩، المحرر الوجيز ١٦٠/٤، البحر المحيط ٣٩٢/٦، روح المعاني٧٥/١٨

" وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو وأمَّ الدرداء (سُورَةٌ) بالنصب فخرج على إضمار فعل أي أتلو سورة و(أَنزَلْنَاهَا) صفة. قال الزمخشري: أو على دونك(سُورَةٌ) فنصب على الإغراء، ولا يجوز حذف أداة الإغراء، وأجازوا أن يكون من باب الاشتغال أي: أنزلنا سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا فـــ(أنزلناها) مفسر لأنزلنا المضمرة، فلا موضعَ له من الإعراب إلاّ أنه فيه الابتداء بالنكرة من غير مسوّغ إلاّ إن اعتقد حذف وصفٍ أي: سُورَةً معظمةً أو موضحةً أَنزَلْنَاهَا، فيجوز ذلك. وقال الفرّاء: (سُورَةٌ) حال من الهاء والألف والحال، من المكنى، ويجوز أن يتقدّم عليه انتهى. فيكون الضمير المنصوب في (أَنزَلْنَاهَا) ليس عائدًا على (سُورَةٌ) ، وكان المعنى أنزلنا الأحكام وفرضناها سورة أي: في حال كونها سورة من سور القرآن، فليست هذه الأحكام ثابتة بالسنة فقط بل بالقرآن، والسنة ..."[١]

✍- التحليل والمناقشة:

قراءة أم الدرداء(سورةً)بالنصب من الشواذ،لكن لها أوجهٌ- يمكن استنباطها من نص أبي حيّان السابق ومن نصوص أخرى- مفصّلةٌ على النحو الآتي:

(١) البحر المحيط ٣٩٢،٣٩٣/٦، وراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٧/٤، المحتسب ٩٩،١٠٠/٢، مشكل إعراب القرآن ٦١/٢، الكشاف ٢٥٦/٤، التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٩٦٣/٢، تفسير القرطبي ١٠١،١٠٢/١٥، الدر المصون ٣٧٧،٣٧٨/٨، فتح القدير ٦/٤، روح المعاني ٧٥/١٨

الوجه الأول: أنها منصوبة بفعل محذوف غير مفسَّر بما بعده، تقديره: اتل سورة، أو اذكر سورة، أو اقرأ سورة، أو اتبعوا وتأملوا وتدبروا سورة أنزلناها، وذلك على معنى التحضيض، وجملة(أنزلناها) في محل نصب صفة لسورة.

الوجه الثاني: أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده على ما قيل في باب اشتغال الفعل عن الفاعل بضميره، أي أنزلنا سورة أنزلناها، فلا محل لـــــــ(أنزلناها) هاهنا لأنها جملة مفسرة لناصبها الذي لا موضع له، فلا موضع لها.(١)

الوجه الثالث: أنها منصوبة على الإغراء، أي: دونك سورة.(٢)

الوجه الرابع: أنها منصوبة على الحال من ضمير(أنزلناها)، والحال من المُكْنَى يجوز أن يتقدم عليه، وعلى هذا فالضمير في (أنزلناها) ليس عائدا على (سورة) بل على الأحكام، كأنه قيل: أنزلنا الأحكام حال كونها سورة من سور القرآن.(٣)

---

(١) وجوز غير واحد كون ذلك من باب الاشتغال، وهو ظاهر على مذهب من لا يشترط في المنصوب على الاشتغال صحة الرفع على الابتداء، وأما على مذهب من يشترط ذلك فغير ظاهر لأن(سورة) نكرة لا مسوغ لها فلا يجوز رفعها على الابتداء، ولعل من يشترط ذلك ويقول بالنصب على الاشتغال هنا يجعل النكرة موصوفة، وحذف الوصف بما يدل عليه التنوين كأنه قيل: سورةٌ عظيمةٌ أو معظمة أو موضحة. روح المعاني١٨/٧٥ بتصرف ، وراجع: البحر المحيط ٦/٣٩٣،٣٩٢

(٢) وهذا الوجه رده أبو حيان بأنه لا يجوز حذف أداة الإغراء لضعفها في العمل لما أن عملها بالحمل على الفعل، وكلام ابن مالك يقتضي جوازه. راجع : البحر المحيط٦/٣٩٢، الدر المصون ٨/٣٧٨، روح المعاني ١٨/٧٥

(٣) هذا الوجه منسوب للفراء. نقله ابن عطية في محرره ٤/١٦٠ فقال:"وقال الفراء هي حال من الهاء والألف والحال من المكنى يجوز أن يتقدم عليه"، وأورده القرطبي أيضا في تفسيره١٥/١٠٢، وأبو حيان في بحره ٦/٣٩٣، والحلبي في دُرّه ٨/٣٧٨، والشوكاني في فتح القدير ٤/٦، والألوسي في روح المعاني ١٨/٧٥، وبرجوعي إلى معاني الفراء ٢/٢٤٤ لم أجد هذا النص في النسخة المتاحة، وإنما وجدتُ قوله:" ولو نَصبت السورة على قولك: أنزلناها سورة وفرضناها، كما تقول: مجردًا ضربتُه كان وجها، وما رأيتُ أحدا قرأ به." يريد الفراء أنها تنصب على الحال وفق تمثيله بالمثال: مجرَّدا ضربتُه. راجع: معاني الفراء ٢/٢٤٤ (المتن والهامش)، أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية ١/٢٦٠

مما سبق يمكن القول بأن لقراءة أم الدرداء على النصب(سورةً) وجوها في لغة العرب أرجحها أن تكون منصوبة بفعل مضمر من غير لفظ المظهر تقديره: (اقرؤوا –تأملوا– تدبروا)، قصد الحض على القراءة والتدبر، أو تكون منصوبة بفعل مضمر من لفظ هذا المظهر وتقديره: أنزلنا سورة أنزلناها.(١)

نظائر للقراءة في الذكر الحكيم:

وللقراءة بالنصب نظائر في القراءات القرآنية منها: قراءة عيسى بن عمر:(براءةً) بالنصب، على تقدير: اسمعوا براءةً، أو التزموا براءةً، ففيها معنى الإغراء.(٢)

ومنها ما حكاه الكسائي عن بعض القراء: ﴿أَيَّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ بنصب(أيَّ) على الاشتغال، على إضمار فعل يفسره (زادته): تقديره:(زادت أيكم زادته هذه إيمانا) ، ورُويت القراءة عن زيد بن علي وعبيد بن عمير(٣).

كما قرأ السُّدِيُّ: ﴿ والأرضَ يمرون عليها﴾ بالنصب(٤)، قال ابن جني: من نَصب فبفعل مضمر أي: يطؤون الأرضَ أو يدوسون الأرض.(٥)

---

(١) راجع المحتسب ٩٩/٢ حيث أورد ابن جني هذا الوجه بطريقيه مستشهدا على ذلك بشواهد من القرآن والشعر العربي.

(٢) الآية في التوبة/١ راجع: مختصر ابن خالويه ص٥٦، الكشاف ٧/٣، المحرر الوجيز ٤/٣، شواذ الكرماني ص٢٠٩، شواذ العكبري ٦٠٦/١، القرطبي ٩٦/١٠

(٣) الآية في التوبة/ ١٢٤ راجع: مختصر ابن خالويه ص٦٠، الكشاف ١٠٩/٣، شواذ الكرماني ص٢٢٣، البحر المحيط ١١٨/٥

(٤) الآية في يوسف/١٠٥: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ راجع : مختصر ابن خالويه ص٧٠، شواذ الكرماني ص٢٥٢

(٥) المحتسب ٣٤٩/١

وقدره العكبري: يقطعون الأرضَ يمرون عليها، فجعل الفعلَ مفسرا للمحذوف.(١)

ومن النصب أيضا قراءة عيسى الثقفي(٢):﴿الزانيةَ والزانيَ﴾-في الآية التالية للشاهد موضع التحليل- بالنصب على الاشتغال، قال أبو الفتح: وهذا منصوب بفعل مضمر أيضا، أي: اجلدوا الزانية والزاني، فلما أضمر الفعل الناصب فسره بقوله: (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وجاز دخول الفاء في هذا الوجه لأنه موضع أمر.(٣)

ومنه أيضا: ﴿والقمرَ قدرناه منازل﴾ فجمهور القراء على النصب بإضمار فعل على الاشتغال(٤)، ومثل هذه المواضع جديرة بالحصر والبحث والدراسة المستقلة.

بين القراءة بالنصب والقراءة بالرفع:

قد صادفت رأيا منفردا يختار قراءة النصب الشاذة (سورةً) ويُرجّحها على القراءة العشرية بالرفع؛ حيث يقول صاحب الكامل:"(سورة) نصب ابن أبي عبلة، وأبو حيوة، ومحبوب عن أبي عمرو ، وهو الاختيار؛ لأن من رفعَ احتاج إلى إضمار، وإذا استقل الكلامُ من غير إضمار فهو أولى" ولاشك أن هذا الرأي مردود بأن كلتا القراءتين (الرفع والنصب) تفتقران إلى

(١) إعراب القراءات الشواذ ٧١٨/١

(٢) ويُلاحظ أن قراءاتٍ كثيرةً بالنصب منسوبة إلى عيسى بن عمر، وقد قال أبو عبيد:" كان الغالب على عيسى بن عمر حبّ النصب". راجع: معجم القراءات ٢٢١/٦، فقد ذكره صاحب المعجم دون إحالة، وببحثي لم أعثر على هذا النص، وإن كان مدلوله منطقيا.

(٣) المحتسب ١٠٠/٢

(٤) الآية من يس/٣٩ حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وروح :(والقمرُ) رفعا، وقرأ الباقون:(والقمرَ) نصبا. راجع: السبعة ص٥٤٠،النشر٢٦٥/٢، الإتحاف ٤٠١/٢

الإضمار، فلا فرق، علاوة على أن قراءةَ الجمهور والجماعة لــ(سورةٌ) بالرفع لها أوجه كثيرة هي:

الوجه الأول: الرفع على الخبرية بإضمار مبتدأ تقديره: هذه سورة أنزلناها، و(أنزلناها) صفة لسورة.(١)

الوجه الثاني: الرفع على الابتداء، فـــــ(سورة) مبتدأ موصوف، والخبر محذوف مقدم تقديره: فيما يُنزل عليك أو فيما يُتلى عليك أو فيما أوحينا إليك سورةٌ من أمرها كذا، والجملة بعدها (أنزلناها) في موضع رفع؛ لأنها صفة لسورة.(٢)

الوجه الثالث: رفع(سورة) على الابتداء، وما بعدها صفة لها أخرجتْها عن حد النكرة المحضة، فحسُن الابتداء لذلك، والخبر قوله: الزانية والزاني...(٣)

---

(١) هذا مذهب الفراء وجمهور النحاة، وقاله الزجاج والنحاس ومكي بن أبي طالب وأبو البركات بن الأنباري والبنا الدمياطي وغيرهم، وأجازه الزمخشري، وعده الألوسيُّ الوجه الوجيه. ينظر على الترتيب: معاني الفراء ٢٤٣/٢، معاني الزجاج ٢٧/٤، إعراب النحاس ٢٤/٣، البيان في غريب إعراب القرآن ١٩١/٢، الإتحاف ٢/ ٢٩١، الكشاف ٢٥٦/٤، روح المعاني ٧٤،٧٥/١٨

(٢) راجع: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢، المحتسب ١٠٠/٢، الكشاف ٢٥٦/٤ وقد قبّح الفراءُ والزجاج ومكي وغيرهم هذا التوجيه على الابتداء، لأنها نكرة، والنكرات لا يُبتدأ بها قبل أخبارها إلا أن يكون ذلك جوابا، ولا يُبتدأ بنكرة إلا أن تكون منعوتة، وإذا جَعلتَ (أنزلناها) نعتا لم يكن في الكلام خبر لها، لأن نعت المبتدأ لا يكون خبرا له، فلم يكن بُدٌّ من إضمار مبتدأ ليصح نعت السورة بأنزلناها. راجع: معاني الفراء ٢٤٣،٢٤٤/٢، معاني الزجاج ٢٧/٤، مشكل إعراب القرآن لمكي٦١/٢، وجوّز الرازي نقلا عن الأخفش الابتداء بالنكرة فسورة مبتدأ وأنزلنا خبره. راجع: مفاتيح الغيب ١٣٠/٢٣

(٣) المحرر الوجيز ١٦٠/٤، والمعنى: السورةُ المنَزَّلةُ المفروضة كذا وكذا؛ إذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بَدء وخَتْم. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٥، الدر المصون ٣٧٧/٨، وحكم أبو حيان والألوسي على هذا الرأي بأنه بعيد في القياس، لكن صاحب الفتح القدير رأى صحة معناه. ينظر: البحر المحيط٣٩٢/٦، روح المعاني ٧٤،٧٥/١٨، فتح القدير ٥،٦/٤

وهذه الأوجه المحتملة لقراءة الجمهور(سورة) على الرفع أرجحُها هو الوجه الأول وهو ما ذهب إليه الفراء وجمهور النحاة على أن(سورة) خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه سورة، لأن(سورة) نكرة لا مسوغ لها فلا يجوز رفعها على الابتداء، وإنما "أشير إليها بهذه تنزيلا لها منزلة الحاضر المشاهد"(١).

نسبة القراءة:

من تتمة القول بيانُ نسبة القراءة(سورةً) بالنصب لاسيما أن الفراء زعم- عند توجيهه إياها- أنه لم يصل إلى مسامعه من يقرأ بها؛ فقال: "ولو نَصبت السورة على قولك: أنزلناها سورة وفرضناها، كما تقول: مجردًا ضربتُه كان وجها، وما رأيتُ أحدا قرأ به"(٢).

والحقيقة أن القراءة بالنصب قد رُويت عن عدد كبير من القراء فقد نسبها الزجاج والنحاس وابن خالويه ومكي إلى عيسى بن عمر الثقفي،وزاد ابن جني: "أم الدرداء وعيسى الهمداني، ورويت عن عمر بن عبد العزيز"، وفي الكامل: "ابن أبي عَبْلة، وأبو حيوة، ومحبوب عن أبي عمرو"، وفي المحرر الوجيز:"عيسى بن عمر ومجاهد ورُوي النصب أيضا عن عمر بن عبد العزيز وعن أبي الدرداء"، أما الكرماني فقد نسبها إلى: " أم الدرداء والعيسان البصري والكوفي وابن قُطَيب وذكرَ روايتها عن عمر بن عبد العزيز"، وصاحب مفاتيح الغيب نسب القراءة إلى: طلحة بن مُصَرِّف فقط، لكنّ أبا حيان والألوسي جمعا جلّ القراء السابقين فنسبا قراءة النصب إلى:

(١) روح المعاني ٧٤/١٨
(٢) معاني القرآن ٢٤٤/٢

"عمر بن عبد العزيز، ومجاهد ، وعيسى بن عمر الثقفي البصري، وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي، وابن أبي عبلة، وأبي حيوة، ومحبوب عن أبي عمرو، وأم الدرداء" ، وفي الدر المصون: "الحسن بن عبد العزيز، والعيسان، ومجاهد، وأبو حيوة"، وفي الإتحاف: "أبو عمرو ، وابن محيصن" ، وعند الشوكاني: "الحسن بن عبد العزيز والعيسان ومجاهد وأبو حيوة وطلحة بن مُصرِّف"، وأورد قراءة النصب دون نسبة: الفراء وأبو عبيدة والزمخشري وابن الأنباري والعكبري والقرطبي والبيضاوي.(١)

تعقيب على نسبة القراءة:

* القراءة بالنصب رُويت في جلّ المؤلَّفات عن عيسى بن عمر الثقفي، ورويت أيضا عن أم الدرداء في مظانّ عديدة سبق ذكرها منها: المحتسب، وشواذ الكرماني، والبحر المحيط، وروح المعاني ، لكن نسبتها في المحرر الوجيز إلى أبي الدرداء قد يكون سهوا أو تصحيفا.

** نُسبت القراءة في مصادر كثيرة سبق ذكرها إلى عمر بن عبد العزيز، لكنّي لم أجد نسبتها إلى الحسن بن عبد العزيز عند غير مؤلِّفَيْ الدر المصون وفتح القدير، ولعله تحريف، وقد يكون المقصود فيهما هو عمر بن عبد العزيز.

---

(١) راجع الآتي على ترتيب المتن: معاني الزجاج ٢٧/٤، إعراب النحاس١٢٧/٣، مختصر شواذ القرآن ص١٠١، وفيه:"...بالنصب عيسى بن عمرو" وهو تصحيف والمقصود: عيسى بن عمر، المحتسب ٩٩/٢، الكامل في القراءات العشر لابن عقيل الهذلي ص٦٠٧، المحرر الوجيز ١٦٠/٤، شواذ القراءات للكرماني ص٣٣٩، مفاتيح الغيب ١٣٠/٢٣، البحر المحيط ٣٩٢/٦، روح المعاني ٧٥/١٨، الدر المصون٣٧٨/٨، الإتحاف ٢٩١/٢، فتح القدير ٦/٤، معاني الفراء٢٤٤/٢، مجاز القرآن ٦٣/٢، الكشاف٢٥٦/٤، البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ١٩١/٢، إعراب شواذ العكبري ١٧٠/٢،وله أيضا: التبيان في إعراب القرآن ٩٦٣/٢، تفسير القرطبي١٠٢/١٥،١٠١، تفسير البيضاوي ٩٨/٤

المبحث الثالث: ما رُوِيَ مُرخّما

- الشاهد القِرائي:

(يا مالك) في قول الله: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]حيث روتها أمُّ الدرداء عن أبي الدرداء(يا مالِ) على الترخيم.

- توثيق القراءة:

أخرج الدوري في قراءات النبي (صل الله عليه وسلم) وقال:" حدثنا عليٌّ بن مسلم بن الهيثم الهاشمي، حدثنا عاصم بن يوسُف الحنّاط، عن قُطْبة بن عبد العزيز السّعدي، عن الأعمش، عن شِمر بن عطية، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم:(يا مال ليقضي علينا ربك) باللام"[2].

قال الزجّاج :"وقوله – عز وجل- : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ وقد رُويت يا مالِ –بغير كاف، وبكسر اللام- وهذا يسميه النحويون الترخيم..."[3]

---

(١) الزخرف/٧٧

(٢) جزء فيه قراءات النبي لأبي عمر حفص بن عمر الدوري(ت٢٤٦هـ) تحقيق د. حكمت بشير ياسين، ط. مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى –١٩٨٨م ص١٤٦،١٤٧، وقارن بتفسير القرطبي ٨٥،٨٦/١٩، التحرير والتنوير٢٦٠/٢٥، القراءات الواردة في السنة د. أحمد عيسى المعصراوي ط. دار السلام ، الثانية ٢٠٠٨م ص١٠٩

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٠/٤، وينظر: إعراب النحاس١٢١/٤، الكشاف ٤٥٦،٤٥٧/٥ ، المحرر الوجيز ٦٤/٥،مفاتيح الغيب ٢٢٨/٧، تفسير القرطبي ٨٤/١٩-٨٦، البحر المحيط ٢٧،٢٨/٨

وقال ابن خالويه:"وَنَادَوْا يَا مَالِ لِيَقْضِ على الترخيم: النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم وعلي وابن مسعود...ونادوا يا مالُ بالرفع الغنوي..."(١)

✍- التوجيه:

قرأ علي وابن مسعود، وكذا روت أم الدرداء عن أبي الدرداء : (يا مالِ) على الترخيم، أي: ترخيم الاسم وحذف الكاف تخفيفا وهو كثير في مالك وعامر.(٢)

وللقراءة توجيه وجيه ذكره الإمام ابن جني-وسأناقشه فيما بعد- حيث قال بعدما ذكر قراءة الترخيم في الآية موضع التحليل:" إلا أن فيه في هذا الموضع سرا جديدا، وذلك أنهم- لعظم ما هم عليه- ضعُفت قواهم، وذلّت أنفسهم، وصغر كلامهم؛ فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورةً عليه، ووقوفا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله، القادر على التصرف في منطقه."(٣)

✍- التحليل والمناقشة:

(١) مختصر ابن خالويه ص ١٣٦،١٣٧ وينظر: المحتسب ٢٥٧/٢، شواذ الكرماني ص٤٢٩، شواذ العكبري ٤٥٣،٤٥٤/٢ ، القراءات الشاذة في النصف الثاني من القرآن الكريم-دراسة نحوية إعداد: تغريد عبد الرازق محمود-ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة - كلية الآداب ٢٠١٢م ص١٢٣

(٢) راجع: إعراب الزجاج ٤٢٠/٤، إعراب النحاس ١٢١/٤

(٣) المحتسب ٢٥٧/٢، وراجع: الكشاف ٤٥٦،٤٥٧/٥ ،أمالي ابن الشجري ٣٠٤/٢، أنوار التنزيل ٩٦/٥، نظم الدرر ٤٨٢،٤٨٣/١٧

قرأ الجمهور والعامة: (يَا مَالِكُ) بإثبات الكاف دون ترخيم[١] ، وقرأ آخرون بحذف الكاف على الترخيم وانقسموا فريقين: الأول–وهو الأغلب–: قرأ (يا مالِ)[٢] بحذف الكاف وكسر اللام، وذلك على لغة من ينتظر. الثاني: –وهو الغنوي–: قرأ (يا مالُ)[٣] بحذف الكاف وضم اللام بالرفع على لغة من لا ينتظر.

والترخيم: حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا وتسهيلا في النداء، وهذا هو المعروف من مذاهب العرب؛ حيث كانوا يرخِّمون مالكا وعامرا عند النداء كثيرا.[٤]

وإنما خصوا النداء بالترخيم، لأن النداء معنى كثر استعماله، فاعتمدوا فيه هذا التخفيف، ألا ترى أن المتكلِّم يُقدمه إذا أخبر أو استخبر، أو نهَى أو أمر، فيقول: يا فلانُ، عرفتَ كذا....ويا فلانُ افعل كذا...فلما كثر استعماله هذه الكثرة خصُّوا ضربا من الأسماء كثيرَ الاستعمال بتخفيف لفظه فيه[٥].

---

(١) راجع: فتح الباري للإمام ابن حجر كتاب بدء الخلق،باب(صفة النار وأنها مخلوقة) حديث رقم(٣٢٦٦) ٣٣٠/٦، وكذا: كتاب التفسير– باب ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ حديث رقم(٤٨١٩) ٥٦٨/٨، القراءات الواردة في السنة، متن وهامش ص١٠٨

(٢) وهي قراءة علي وابن مسعود وغيرهما كما سأبين فيما بعد عند نسبة هذه القراءة: (يا مالِ) بكسر اللام..

(٣) هو أبو السِّرار أو أبو السَّوار الغَنَوِيّ. راجع: مختصر ابن خالويه ص١٣٧، الكشاف ٤٥٧/٥، البحر المحيط ٢٧،٢٨/٨، الدر المصون ٦٠٧/٩، روح المعاني ١٠٢/٢٥

(٤) ينظر: الكتاب٢٣٩/٢،معاني الزجاج ٤٢٠/٤، أصول ابن السراج ٣٥٩/١، إعراب النحاس ١٢١/٤، شرح ابن عقيل٢٨٨/٣

(٥) أمالي ابن الشجري ٣٠١/٢

وفي آخر الاسم المرَخّم وجهان أو لغتان أحدهما: أن تُبقيه على ما كان عليه قبل الحذف يقال: يا مالِ أقبلْ، وهذه اللغة- لمن ينتظر الحرف- أفصحُ اللغتين[١]. والآخر: أن تبنيَه على الضم فمن العرب من يقول: يا مالُ أقبل فيجعلون ما بقي اسما على حاله، ويعاملونه على أنه اسم تام.[٢]

الترخيم ومناسبته السياق القرآني:

ترخيم المنادَى إذا مذهب شائع عند العرب وهو مناسب في هذا السياق القرآني الأليم الذي يخاطِب فيه أهلُ الإجرام مالكًا خازنَ جهنم توسُّلا به ليرفع دعوتهم إلى الله شفاعة وأملا في الخلاص بالإماتة وإزالة الحياة من فرط شدة العذاب الذي يُقاسونه، وطمعا في أن يستريحوا من إحساسه وآلامه، فلا يتكرر[٣].

وإنما حسُن هذا الترخيم -تتمةً لما ذكره ابنُ جني في محتسبه[٤]- في هذا السياق؛ لأنه يدل على أن المجرمين قد بلغوا في الضعف والهوان والنحافة إلى حيث لا يمكنهم أن يذكروا من الكلمة إلا بعضها؛ إذ إن العذاب

---

(١) قال سيبويه: "واعلم أن الحرف الذي يلي ما حذفتَ ثابتٌ على حركته التي كانت فيه قبل أن تَحذف، إن كان فتحا أو كسرا أو ضما أو وقفا؛ لأنك لم تُرد أن تجعل ما بقي من الاسم اسما ثابتا في النداء وغير النداء، ولكنك حذفت حرف الإعراب تخفيفا في هذا الموضع وبقي الحرف الذي يلي ما حُذف على حاله،لأنه ليس عندهم حرف الإعراب. وذلك قولك في حارث: يا حارِ" الكتاب ٢٤١/٢

(٢) راجع: الأصول في النحو لابن السراج ٣٥٩/١، إعراب النحاس ١٢١/٤، شرح المفصل لابن يعيش ٢١/٢، القرطبي ٨٥/١٩، أوضح المسالك ٦٥،٦٦/٤، شرح ابن عقيل ٢٩٣/٣، القراءات الشاذة في النصف الثاني من القرآن- دراسة نحوية ص١٢٣

(٣) راجع: نظم الدرر ٤٨٢،٤٨٣/١٧، فتح القدير ٧٣٨/٤، التحرير والتنوير ٢٦٠/٢٥

(٤) المحتسب ٢٥٧/٢

أوهنهم وأعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه، والمقام جلل يقتضي الاختصار باقتطاع بعض الاسم كما يُشاهَد في حديث بعض المكروبين.(١)

وروي أنه قيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ (يا مالِ)، فقال: ما أشغلَ أهلَ النار عن الترخيم!(٢)؛ فوجْه استنكار ابنِ عباس قراءةَ ابن مسعود أن حال أهل النار وما هم فيه من عذاب مقيم يُشغلهم دون شك عن التصرف في الكلام بالترخيم، ويُجاب عن ذلك بما سبق ذكره من تناغم سياق المقال(الترخيم) مع سياق الحال؛ ومن ثم "ليس الترخيمُ بقصد التصرف في الكلام أو التفنن فيه بل للعجز وضيق المجال عن الإتمام"(٣).

وزاد ابنُ الشجري في الرد على دعوى شُغل أهل النار عن الترخيم فقال:...وذلك أنه لما ذَلّت نفوسهم، وتقطعت أنفاسُهم، وخَفِيَتْ أصواتهم، وضعُفت قُواهم، ولم تنفع شكواهم، قصُرت ألسنتهم عن إتمام الاسم، وعَجَزوا عما يستعمله المالكُ لقوله، والقادرُ على التصرّف في منطقه.(٤)

نسبة القراءة:

(١) ينظر: الكشاف٥/٤٥٧،٤٥٦ ، الرازي٢٧/٢٢٨، إرشاد العقل السليم ٨/٥٥، أنوار التنزيل ٥/٩٦، حاشية الشهاب ٧/٤٥١

(٢) مختصر ابن خالويه ص١٣٧ وفيه أن "ابن عباس قال: ما أشهد أهل النار عن الترخيم" وهو تصحيف؛ والصواب: ما أشغل. والخبر بنحوه في: الكشاف ٥/٤٥٦، الرازي ٢٧/٢٢٨ وفي الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف قال ابن حجر عن هذا الأثر: لم أجده بإسناد. راجع الكافي الشاف د. ط ، د. ت ص١٤٧

(٣) روح المعاني ٢٥/١٠٣،١٠٢

(٤) الأمالي ٢/٣٠٤

قرأ عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وابن وثاب والأعمش وأم الدرداء عن زوجها أبي الدرداء (يا مالِ) بالترخيم وكسر اللام على اللغة العُليا، وهي قراءة النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم.

فالقراءة بالترخيم وكسر اللام رُويت عن عبد الله بن مسعود فقط عند النحاس والرازي وابن عاشور ، وزاد ابنُ خالويه: النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه، وفي المحتسب وفي أمالي ابن الشجري وفي البحر المحيط وفي الدر المصون وفي فتح القدير وفي روح المعاني: علي وابن مسعود ويحيى بن وَثّاب والأعمش، ونَسب الزمخشريُّ القراءة إلى علي وابن مسعود فقط، وفي المحرر الوجيز: "ابن مسعود ويحيى والأعمش ورُويت عن علي ابن أبي طالب ورواها أبو الدرداء عن النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم "، وعند الكرماني: ابن مسعود ويحيى والأعمش، وفي تفسير القرطبي: "قراءة علي وابن مسعود، وقال أبو الدرداء وابن مسعود: قراءة النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم باللام خاصة"، ودون نسبة عند ابن قتيبة والزجاج والعكبري والبيضاوي وابن هشام وكذا دون نسبة عند البقاعي وفي تفسير أبي السعود. [١]

القراءة بالترخيم بين الاستعمال والشذوذ:

(١) راجع على ترتيب المتن: إعراب النحاس ١٢١/٤، مفاتيح الغيب٢٨٨/٧، التحرير٢٦٠/٢٥، مختصر ابن خالويه ص١٣٧، المحتسب٢٥٧/٢، الأمالي٣٠٤/٢، البحر٢٧/٨، الدر المصون٦٠٧/٩، فتح القدير٧٣٨/٤، روح المعاني١٠٢/٢٥، الكشاف ٤٥٦/٥، المحرر الوجيز٦٤/٥، شواذ الكرماني ص٤٢٩، الجامع ٨٤/١٩، تأويل مشكل القرآن ص٢٣٦، معاني الزجاج ٤٢٠/٤، إعراب القراءات الشواذ للعكبري٤٥٣/٢، أنوار التنزيل٩٦/٥، أوضح المسالك٥٥/٤، نظم الدرر٤٨٢/١٧،إرشاد العقل السليم٥٥/٨

هذه القراءة رغم شيوع نظيرها في العربية وكثرة استعمالها، وجريانها على سَنَن العرب، وموافقتها المذهب المألوف في الترخيم، إلا أنها ليست متواترة ومن يقرأ بها يخالف سواد القرّاء؛ للآتي:

١- الترخيم في الآية مخالف للرسم العثماني، ومخالف لجمهور القراء؛ فقد قال الزجاج :"وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ وقد رُويت يا مالِ –بغير كاف، وبكسر اللام- وهذا يسميه النحويون الترخيم، وهو كثير في الشعر في مالك وعامر ولكنني أكرههما لمخالفتهما المصحف."(١)، والكلام بنحوه قاله القرطبي(٢).

والتوافق مع الرسم العثماني ولو احتمالا، وصحة السند وتواتره من أركان القراءة الصحيحة وهذا ما لم يتحقق.

٢- القراءة بالترخيم منسوبة-كما سبق بيانه- للنبي صلى الله عليه وسلم، وليست منتسبة لأحد من أئمة الرواية في القراءات، ومن نسبها للنبي الكريم قد اعتمد في ذلك على الروايات الآتية فرادى أو مجتمعة:

أولاها: الرواية التي أخرجها الدوري عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، عن النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم أنه قرأ: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِ لِيَقْضِي علينا ربك﴾ باللام"(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٠/٤، وراجع: إعراب النحاس ١٢١/٤

(٢) قال:وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما:(ونادوا يا مالِ) وذلك خلاف المصحف. الجامع لأحكام القرآن ٨٤/١٩

(٣) جزء فيه قراءات النبي لأبي عمر حفص بن عمر الدوري ص١٤٦،١٤٧، والخبر بنحوه في المحر الوجيز حيث قال ابن عطية: "قرأ ابن مسعود(يا مال)...ورواها أبو الدرداء عن النبي" ، وفي القرطبي ٨٤/١٩:"وقال أبو الدرداء وابن مسعود:قرأ النبي(ونادوا يا مالِ) باللام خاصة. وينظر أيضا: التحرير والتنوير٢٦٠/٢٥، القراءات الواردة في السنة للمعصراوي ص١٠٩

وهذه الرواية لم أعثر عليها في كتب السنة، علاوة على إيرادها الفعل(يقضي) بالياء مخالفة بذلك الرسم؛ إذ إنها مجزومة بلام الأمر هكذا:(لِيقضِ) دون ياء.

والثانية: ما ورد في البخاري مما حدّث به سفيان عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن يعلَى عن أبيه قال:"سمعت النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر{ونادوا يا مال} قال سفيان: في قراءة عبد الله: ونادوا يا مال".(١)

لكنّ هذه الرواية لها طرفان آخران في صحيح البخاري ولكن بإثبات الكاف وكلاهما أيضا من حديث صفوان بن يَعلى عن أبيه قال: "سمعت النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم يقرأ على المِنبر: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ليقض علينا ربك﴾ " قال ابن حجر: كذا للجميع بإثبات الكاف وهي قراءة الجمهور(٢)، فيكون النبي (صل الله عليه وسلم) قرأ بالوجهين وتواترت قراءةُ إثبات الكاف وبقيت الأخرى مروية بالآحاد فلم تكن قرآنا.(٣)

والثالثة: ما رُوي عن مجاهد أنه قال : كنا لا ندري ما ﴿الزخرف﴾ حتى وجدناه في قراءة عبدالله: {بيت من ذهب} ، وكنا لا ندري (معنى)

(١) فتح الباري- للإمام ابن حجر العسقلاني، كتاب بدء الخلق- باب إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم(٣٢٣٠) ٣١٢/٦

(٢) راجع: فتح الباري- كتاب بدء الخلق،باب(صفة النار وأنها مخلوقة) حديث رقم(٣٢٦٦) ٣٣٠/٦، وكذا: كتاب التفسير- باب ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ حديث رقم(٤٨١٩) ٥٦٨/٨. وهو أيضا عند أبي داود ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد . وراجع أيضا: القراءات الواردة في السنة، متن وهامش ص١٠٨

(٣) التحرير والتنوير ٢٦٠/٢٥

﴿ونادوا يا مالك﴾ أو يا ملك (بفتح اللام وكسرها) حتى وجدناه (سمعنا) في قراءة عبد الله {ونادوا يا مال} على الترخيم.(١)

وقد ذكر أبو بكر الأنباري هذه الرواية ثم عقّب فقال: لا يُعمل على هذا الحديث لأنه مقطوع لا يُقبل مثلُه في الرواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وكتاب الله أحق بأن يُحتاط له ويُنْفَى عنه الباطل.(٢)

٣- عدم وجود هذه القراءة في كتب القراءات المتواترة، وشيوعها- كما سبق ذكره- بين كتب القراءات الشاذة.

(١) ورد قول ابن مجاهد في: إعراب النحاس ١٢١/٤، مختصر ابن خالويه ص١٣٧

(٢) نقلت النص عن القرطبي ٨٥،٨٦/١٩، وقد تحريته في كتب أبي بكر الأنباري فلم أعثر عليه.

المبحث الرابع: ما رُوِيَ فيه حذفٌ

✍- الشاهد القِرائي:

الحذف في قول الله- تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾[١]حيث رواها أبو الدرداء(والذكرِ والأنثى).

✍- توثيق القراءة:

قال الفرّاء:" قوله عز وجل:(وما خلقَ الذكرَ والأنثى) هي في قراءة عبد الله: (والذكرِ والأنثى)..."[٢]

أخرج البخاري من طريق الأعمش عن إبراهيم قال:" قدِم أصحابُ عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم فقال: أيُّكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال كلنا. قال: فأيُّكم يحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعتَه يقرأ والليل إذا يغشى قال علقمة: والذكرِ والأنثى قال: أشهدُ أني سمعت النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا، وهؤلاء يُريدونني على أن أقرأ: وما خلق الذكر والأنثى والله لا أتابعهم".[٣]

قال الطبري:"وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء أنهما كانا يقرآن ذلك:(والذكرِ والأنثى)، ويأثره أبو الدرداء عن رسول الله "[٤].

---

(١) الليل/٣

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٧٠/٣

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب(وما خلق الذكر والأنثى) حديث رقم(٤٩٤٤) ٧٠٧/٨.

(٤) جامع البيان ٤٥٦/٢٤

وقال ابنُ جني:"قرأ:(وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) بغير (ما) – النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأبو الدرداء وابن عباس"(١).

✍– التوجيه:

قرأ جمهور الصحابة(وما خلقَ الذكرَ والأنثى)، وهو المتواتر والثابت في رسم المصحف المجمع عليه من الصحابة، ولكن رُوي عن علي وابن مسعود وأبي الدرداء وغيرهم أنهم كانوا يقرءون: (والذكرِ والأنثى) بواو القسم، وخفض الذكرِ وجرِّه عطفا على المقسم به في الآيتين السابقتين: (الليل– النهار)، ويُسقطون: (وما خلق).

فعلى هذه الرواية يكون الحق–تعالى– قد أقسم بالذكر والأنثى، والقسمُ بهما يتناول القسمَ بجميع ذوي الأرواح الذين هم أشرف المخلوقات، لأن كلَّ حيوان فهو إما ذكر أو أنثى؛ ولأن الله تعالى خلق جميعهم من ذكر وأنثى من نوعهم والخنثى فهو في نفسه لابد وأن يكون إما ذكرا أو أنثى(٢)، وقيل: المراد بالذكر والأنثى: آدم وحواء(٣).

✍– التحليل والمناقشة:

رُوي عن علي وابن مسعود وأبي الدرداء وغيرهم أنهم كانوا يقرءون: (والذكرِ والأنثى) بواو القسم، وربنا إذا أقسم فإنه لا يقسم إلا بما عظم شأنه من آيه العظيمة ودلائله الباهرة؛ ومن ثم أقسم بالذكر والأنثى هنا

(١) المحتسب ٣٦٤/٢

(٢) مفاتيح الغيب ١٩٩/٣١، القرطبي ٣٢٢/٢٢

(٣) قاله ابن عباس والحسن والكلبي. راجع: المحرر الوجيز ٤٩٠/٥،القرطبي٣٢٢/٢٢

تكريما لهم وتشريفا، والمعنى:" وذلك الخلق العجيب من اختلاف حالي الذكورة والأنوثة مع خروجهما من أصل واحد، وتوقف التناسل على تزاوجهما..."(١).

والقسم بالذكر والأنثى -وَفق هذه الرواية- يتناغم وآي مطلع السورة المفتتحة بالقسم بمخلوقات الله(الليل-النهار-الذكر...)، حيث أورده الذكر الحكيم بعد أن "أقسم بالليل إذا غشى النهارَ ظلمته فأذهب ضوءه وجاءت ظلمتُه، وبعد أن أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار ما كانت ظلمةُ الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياه عِيانا"(٢) تجسيدا لدلائل قدرة الله وبديع صنائعه ، كما أن أسلوب القسم في السورة موضع الدراسة(سورة الليل) وافتتاح الكلام به جار على أسلوب السور السابقة في الترتيب المصحفي: (الفجر والبلد والشمس) ويتناغم ومساقاتها التي يشيع في مطلعها هذا الأسلوب؛ لاسيما سابقتها(سورة الشمس) التي يتكرر في مطلعها أسلوب القسم سبع مرات، وكذا يتنادى مع أسلوب القسم في السورة اللاحقة حيث يرد القسم في مطلع سورة (الضحى) مرتين.

نسبة القراءة:

قرأ عبد الله بن مسعود وأصحابه وأبو الدرداء وعلي بن أبي طالب وابن عباس وعلقمة: (والذكرِ والأنثى) من دون(ما خلق)، وهي قراءة النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٧٩

(٢) راجع: الطبري ٢٤/٤٥٥

وبيان ذلك أن الفراءَ وابنَ قتيبة –نقلا عن الفراء– والقرطبي والشوكاني نسبوا القراءة إلى عبد الله بن مسعود فقط، وزاد الطبري أبا الدرداء، بينما زاد ابن خالويه إلى ابن مسعود: النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم، وفي المحتسب:"علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبو الدرداء وابن عباس"، وزاد ابن عطية على ما ذكره ابن جني: " علقمة، وأصحاب عبد الله، وسمعها أبو الدرداء من النبي (صل الله عليه وسلم)"، ونسبها الزمخشري والرازي وابن عاشور إلى النبي (صل الله عليه وسلم) فقط، وفي شواذ الكرماني رويت القراءة عن:" النبي (صل الله عليه وسلم) وعلي وابن مسعود وأبي الدرداء"، وعند الألوسي: "وقرأ ابنُ مسعود والذكرِ والأنثى وتبعه ابن عباس، ونسبت لعلي كرم الله وجهه"، ونسبها صاحب الدر المصون إلى أبي الدرداء وحده، ووردت القراءة دون نسبة عند أبي حيان وأبي السعود.(١)

تعليق على نسبة القراءة للنبي الكريم:

رأينا في هذه القراءة(والذكر والأنثى)، وسابقتها(ونادوا يا مال) ، وكذا قراءة آية الفرقان(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّات أَعْيُن) أن كثيرا من المفسرين وعلماء القراءات يطلقون عليهما: قراءة النبي (صل الله عليه وسلم) –عليه السلام– بأسانيد صحيحة، ولا ينسبونها لأحد من أئمة

(١) راجع على الترتيب:معاني الفراء ٢٧٠/٣، تأويل مشكل القرآن ص٤٠٦، القرطبي٣٢١/٢٢، فتح القدير ٦٠٥/٥، جامع البيان ٤٥٦/٢٤، مختصر شواذ القرآن ص١٧٥، المحتسب ٣٦٤/٢، المحرر الوجيز ٤٩٠/٥، الكشاف ٣٨٥/٦، مفاتيح الغيب ١٩٩/٣١، التحرير والتنوير ٣٨٠/٣٠، شواذ القراءات ص٥١٥، روح المعاني١٤٧/٣٠، الدر المصون ٢٧/١١، البحر المحيط ٤٧٧/٨، إرشاد العقل السليم ١٦٦/٩، وللاستزادة راجع: معجم القراءات ١٠/ ٤٦٣، القراءات الشاذة في النصف الثاني من القرآن ص١٨٢

الرواية في القراءات، فما معنى نسبتها للنبي؟ وهل يعني انتسابها للنبي أنهما فقط المأثورتان عنه، أو أنهما ترجحَان القراءات المشهورة؟ وما حكم هاتين القراءتين–وأشباههما– المنسوبتين للنبي رغم عدم تواتر نقلهما؟

يجيب عن ذلك ابن عاشور جوابا شافيا فيقول:"وقد تُروى قراءات عن النبي (صل الله عليه وسلم) بأسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخاري ومسلم وأضرابهما إلا أنها لا يجوز لغير من سمعها من النبي (صل الله عليه وسلم) القراءةُ بها لأنها غير متواترة النقل فلا يترك المتواتر للآحاد، وإذا كان راويها قد بلغته قراءة أخرى متواترة تخالف ما رواه وتحقق لديه التواتر وجب عليه أن يقرأ بالمروية تواترا، وقد اصطلح المفسرون على أن يطلقوا عليها قراءة النبي (صل الله عليه وسلم)، لأنها غيرُ منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات، ويكثر ذكر هذا العنوان في الطبري وفي الكشاف وفي المحرر الوجيز، وسبقهم إليه ابن جني، فلا تحسبوا أنهم أرادوا بنسبتها إلى النبي (صل الله عليه وسلم) أنها وحدها المأثورة عنه ولا ترجيحَها على القراءات المشهورة لأن القراءات المشهورة قد رويت عن النبي (صل الله عليه وسلم) عليه السلام بأسانيد أقوى وهي متواترة على الجملة، وما كان ينبغي إطلاق وصف قراءة النبي (صل الله عليه وسلم) عليها؛ لأنه يوهم من ليسوا من أهل الفهم الصحيح أن غيرها لم يقرأ به النبي (صل الله عليه وسلم)."[١]

القراءة بالحذف بين السماع من النبي (صل الله عليه وسلم) وبين عدم التواتر:

(١) مقدمة التحرير والتنوير ١/٥٥،٥٤

سبق أن سردتُ-عند توثيق القراءة- الحديثَ الصحيح الذي رُوي من طرق كثيرة ثابتة في كتب الصحاح، والتي منها ما أخرجه البخاري ومسلم-واللفظ للبخاري- من طريق الأعمش عن إبراهيم أنه قال:" قدِم أصحابُ عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم فقال: أيُّكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال كلنا. قال: فأيُّكم يحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعتَه يقرأ والليل إذا يغشى قال علقمة: والذكرِ والأنثى قال: أشهدُ أني سمعت النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا، وهؤلاء يُريدونني على أن أقرأ: وما خلق الذكر والأنثى والله لا أتابعهم".(١)

وفي صحيح مسلم من طريق الشَّعبيّ عن عَلْقَمةَ ؛ قال: لقيتُ أبا الدرداء. فقال لي: ممن أنت؟ قلتُ: من أهل العراق. قال: مِن أيهم؟ قلتُ: مِن أهل الكوفة. قال: هل تقرأُ على قراءة عبد الله بن مسعود؟ قلتُ: نعم. قال: فاقرأ: والليل إذا يغشى. قال فقرأتُ: والليلِ إذا يغشى والنهارِ إذا تجلى والذّكرِ والأنثى. قال فضحِك ثم قال: هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها.(٢)

<u>مما سبق ومن غيره من الأخبار التي هي من أصح الأسانيد يمكنك استنتاج أن ابن مسعود وأبا الدرداء كانا يقرآن(والذكرِ والأنثى)، وأن</u>

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب(وما خلق الذكر والأنثى) حديث رقم(٤٩٤٤) ٧٠٧/٨، صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي طبع ونشر وتوزيع: دار الحديث بالقاهرة ، الأولى ١٩٩١م، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها-باب ما يتعلق بالقراءات، حديث رقم(٢٨٢) ٥٦٥،٥٦٦/١. والحديث أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وقد أورد الطبري عند تفسير الآية نحو تسعة أخبار من طرق مختلفة كلها تُعضد رواية أبي الدرداء عن رسول الله (والذكرِ والأنثى). راجع: جامع البيان ٤٥٦/٢٤-٤٦٠، وانظر أيضا:جزء فيه قراءات النبي للدوري ص١٧٦، ١٧٧

(٢) صحيح مسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها-باب ما يتعلق بالقراءات، حديث رقم(٢٨٤) ٥٦٦/١

الرسول أقرأها أبا الدرداء، وأن أبا الدرداء تلقاها وسمعها عن رسول الله هكذا، مخالِفَيْن(ابن مسعود وأبا الدرداء) بذلك الإجماع، مما يجعلنا بين طريق يقيني لخبر صحيح يروي قراءةً ما(طريق السماع عن النبي (صل الله عليه وسلم))، وبين طريق يقيني آخر يتمثل في تواتر الجماعة والجمهور على قراءة أخرى(طريق التواتر)، فكيف يمكنُ التوفيق بين الروايتين أو الطريقين؟!

لأهل العلم تخريجان على النحو الآتي:

التخريج الأول: رفْض رواية: (والذكرِ والأنثى) وإبطالها، فلا تُعدّ قرآنا.

ومنهم الإمام أبو بكر الأنباري الذي رفض رواية أبي الدرداء حتى لو صح سندها؛ محتجا بأن رواية الواحد إذا حاذتها روايةُ جماعةٍ تخالفها، أُخذ برواية الجماعة، وأُبطل نقل الواحد؛ لما يجوز عليه من الإغفال؛ ومن ثم لو صح الحديث عن أبي الدرداء وكان إسناده مقبولا معروفا، ثم كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة يخالفونه، لكان الحكمُ العملَ بما روته الجماعةُ، ورفضَ ما يحكيه الواحدُ المنفرد، الذي يُسرعُ إليه من النسيان ما لا يُسرعُ إلى الجماعة وجميعِ أهل الملة.(١)

وزاد أبو حيان فلم يعدّ هذه الروايةَ:(والذكرِ والأنثى) قرآنا؛ لأنه نقلٌ آحاد مخالف للسواد؛ ولأن الثابت في مصاحف الأمصار والمتواتر قراءةُ:(وما خلق الذكرَ والأنثى).(٢)

(١) نقل القولَ القرطبيُّ في الجامع ٣٢٢/٢٢،٣٢١

(٢) البحر المحيط ٤٧٧/٨، وراجع: القراءات الواردة في السنة ص١٣٠، أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية١/٤٦٠

التخريج الثاني: الطريقان (طريقَ السماع وطريقَ التواتر) يقينيّان، وأنّ ما رواه أبو الدرداء قد نُسخ، لكنّ النسخَ لم يبلغه.

ومنهم الإمام ابن حجر العسقلاني الذي قال معلقا على الأحاديث الصحيحة لقراءة: (والذكرِ والأنثى): "وفي هذا بيانٌ واضح أن قراءة ابن مسعود كانت كذلك، وهذا الإسنادُ المذكور في الصحيحين عن ابن مسعود من أصح الأسانيد التي تُروى به الأحاديث، ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذُكر هنا-قلتُ: يقصد ابنَ مسعود وأبا الدرداء-، ومن عداهم قرءوا: وما خلق الذكر والأنثى، وعليها استقر الأمر، مع قوة إسناد ذلك-قلتُ: يقصد قراءة والذكرِ والأنثى- إلى أبي الدرداء ومن ذُكر معه، ولعل هذا مما نُسخت تلاوته، ولم يبلغ النسخُ أبا الدرداء ومن ذكر معه. والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت"(١).

"وإنما قال أبو الدرداء: "لا أتابعهم " مع كون قراءتهم متواترة لكون طريقه طريقا يقينيا وهو سماعه من النبي (صل الله عليه وسلم) صلى الله عليه وسلم، فإن قلتَ: فعلى هذا كان ينبغي ألا يُخالفوه، قلتُ: لهم طريق يقيني أيضا وهو ثبوت قراءتهم بالتواتر، وقال المازري: يجب أن يعتقد في هذا وما في معناه أنه كان قرآنا ثم نسخ ولم يعلم ممن خالف النسخ فبقي على النسخ قال: أو لعله وقع من بعضهم قبل أن يبلغ مصحفَ عثمان رضي

(١) فتح الباري ٨/٧٠٧بتصرف يسير

الله تعالى عنه المجمع عليه المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن واحد منهم أنه خالف فيه."(١)

وهذا الاتجاه في التخريج لا يتناقض والاتجاه الأول فأي قراءة نسخت بأخرى لا تُعد قرآنا ولا تجوز القراءة بها، وإن كان هذا التخريج أكثر توازنا وأوجه تعليلا من الأول.

وما أدقّ ما علّق به الألوسي على قراءة الحذف:(والذكرِ والأنثى) حيث قال:"أنت تعلم أن هذه قراءة شاذة منقولة آحادا لا تجوز القراءة بها، لكنها بالنسبة إلى من سمعها من النبي (صل الله عليه وسلم) عليه الصلاة والسلام في حكم المتواترة تجوز قراءته بها."(٢)

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العلامة بدر الدين محمود العيني ط.دار الفكر ٢٩٦/١٩

(٢) روح المعاني ١٤٧/٣٠، والخبر بنحوه في التحرير لابن عاشور ٣٨٠/٣٠ حيث قال:"وتأويل ذلك: أن النبي أقرأها أبا الدرداء أيام كان القرآن مرخصا فيه أن يُقرأ على بعض اختلاف، ثم نُسخ ذلك الترخيص بما قرأ به النبي في آخر حياته وهو الذي اتفق عليه قراء القرآن، وكتب في المصحف في زمن أبي بكر رضي الله عنه".

المحور الرابع

الدراسة المعجمية لمرويات آل الدرداء

المبحث الأول: رواية يَتَذَكّرُون

✍- الشاهد القِرائي:

(يَتَفَكّرُون) في قول الله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [١]حيث قرأها أبو الدرداء (يَتَذَكَّرُون) بالذال بدل الفاء.

✍- توثيق القراءة:

قال ابن عطية:" وقوله " كأن لم تغن " أي كأن لم تنعم ولم تنضر ولم تغر بغضارتها .... وقرأ أبو الدرداء: "لقوم يتذكرون" .... وخص "المتفكرين" بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق إلى هذه الرتبة."[٢]

وقال أبو حيان:"..."كذلك نُفَصّل الآيات لقوم يتفكرون" أي: مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي، نفصل في المستقبل، وقرأ أبو الدرداء "لقومٍ يَتذَكّرون" بالذال بدل الفاء."[٣]

✍- التوجيه:

قرأ أبو الدرداء (كذلك نفصل الآيات لقوم يتذكرون) مشتقا ذلك من الفعل تذكّرَ ، وكأن الله –عز وجل- ذكر الآيات والعلامات، وبيّن الدلائل

---

(١) يونس/٢٤

(٢) المحرر الوجيز ٣/١١٥،١١٤

(٣) البحر المحيط ٥/١٤٦، وراجع: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته-قسم القراءات، جذر ف ك ر، جذع تفكر، صورة(يتفكرون) ص١٠٦٢،١٠٦١، معجم القراءات ٣/٥٣١

وضرب الأمثال لمتاع الحياة الدنيا مبيِّنا فناءها ومفندا مزاعم المعتقدين دوامها دون بعث، ومفصّلا ذلك تفصيلا لِمن يستحضر عقلُه ذلك ويتذكر فتنفعه الذكرى ويعتبر ويتعظ.

✍- التحليل والمناقشة:

قراءة الجمهور والجماعة في تذييل الآية الكريمة: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكّرون﴾، لكن قراءة أبي الدرداء (...لقوم يتذكرون).

وهذا الاختلاف القِرائي إنما هو اختلاف لفظي على مستوى مادة الكلمة أو جذرها، مما ينجم عنه -دون شك- اختلاف في المعنى؛ إذ إننا أمام جذرين مختلفين هما:(ف ك ر)، و(ذ ك ر)، وحتى ندرك دلالة القراءتين ومدى ملاءمتهما وتناغمهما والسياق القرآني ينبغي الوقوف على مساق الآية الكريمة ومقصودها، بعد بيان دلالة كل جذر منهما:

أولا : دلالة الجذرين اللغويين

* "ف ك ر" : "الفاء والكاف والراء تردُّدُ القلب في الشيء يقال: تفكّر إذا ردّدَ قلبه معتبرا. ورجل فِكِّير: كثير الفكر."(١)

* "ذ ك ر": " الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرع كلم الباب فالمُذْكِر: التي ولَدَت ذكرا...والأصل الآخر: ذكَرْتُ الشيءَ، خلافُ نسيتُه. ثم حمل عليه الذِّكر باللسان. ويقولون: اجْعلْه منك على ذُكْر، بضم الذال، أي لا تَنْسَه."(٢)

(١) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون ط. دار الفكر كتاب الفاء، باب الكاف والفاء وما يثلثهما،مادة(ف ك ر)

(٢) السابق-كتاب الذال-باب الذال والكاف وما يثلثهما-مادة (ذ ك ر)

وفي الفروق اللغوية: التفكر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل، والذكر: عَرَض ينافي النسيان ، فالذكر لا يسمى ذكرا إلا إذا وقع بعد النسيان، ويضاده السهو ، وقيل: الذكر: حضور المعنى في النفس، فهو حضور وعلم حادث بعد نسيان.(١)

ثانيا: سياق الآية الكريمة:

السياق لإثبات البعث وتخويف المشركين به ؛ حيث كانوا ينكرونه ويعتقدون بقاء الدنيا، وأنها إنما هي أرحام تَدفع وأرض تَبلع دائما بلا انقضاء فهي دار يُرضى بها فيُطمأَن إليها، وللتنفير من البغي والتعزز بغير الحق(٢)، فالآية تتنزل منزلة البيان لجملة (متاع الحياة الدنيا) المؤذنة بأن تمتعهم بالدنيا ما هو إلا لمدة قصيرة، فبينت هذه الآية أن التمتع صائر إلى زوال، وأطنبت فشبهت هيئة التمتع بالدنيا لأصحابها بهيئة الزرع في نضارته ثم في مصيره إلى الحصد.(٣)

ثالثا: تذييل الآية الكريمة بين التفكر والتذكر

لمن تُفصل الآيات وتُضرب الأمثال الدالة على سرعة انقراض نعيم الحياة الدنيا؟

نحن أمام مثل قرآني فريد فيه تشبيه لحال الحياة الدنيا ومتاعها سيق مُفصّلا ليحل مشكلة في عقول منكري البعث وكما قيل:"الأمثال أجلى

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق/ محمد إبراهيم سليم ط.دار العلم والثقافة ص ٧٥، ٧٧، ٩٣

(٢) نظم الدرر ١٠١/٩

(٣) التحرير والتنوير ١٤١/١١

لمحال الأشكال"[١]. ولكن مَن الذي يمتلك مؤهلات الانتفاع بهذا المثل الإلهي! فيستنطق غاياته ويقف على مراميه، ويميز على إثر ذلك بين دعاوى منكري البعث وضلالاتهم وبين حقيقة الحياة الدنيا الزائلة، فيتحقق الهدف الذي يرمي إليه البيان القرآني العليّ، وتُزال الشبهات حول فناء الدنيا وهلاكها وقيام الساعة بعدها.

قراءة الجماعة: ﴿كذلك نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُون﴾

مما سبق من دلالة الجذر اللغوي يُستنبط أن الفِكر: إعمال الخاطر والنظر في الشي، والتفكر: التأمّل[٢]، فناسب التذييل على قراءة الجماعة هكذا: (كذلك نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُون) مع سياق الآية وجوها؛ إذ إنها ترسم آياتٍ وتذكر علاماتٍ وتمثل بكائناتٍ تحتاج لمتفكر متأمل كي يعي ويعقل ويتدبر طلبا للمعاني[٣] ويُعمل نظره في الدنيا وحالها ومآلها ؛ "أي أن الحق قد بيّن الحجج والأدلة لمن يتفكّر ويعتبر وينظر، وخصّ به أهل الفكر؛ لأنهم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُّبه في الصدور[٤]، وتشريفا لمنزلة المتفكِّرين، وليقع التسابق إلى هذه الرتبة[٥]؛ ولا عجب فالتفكر عبادة الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

---

(١) نظم الدرر ١٠١/٩

(٢) ينظر: القاموس المحيط للفيروزابادي ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م، باب الراء، فصل الفاء ، مادة(ف ك ر)، لسان العرب لابن منظور، ط. دار المعارف باب الكاف-مادة(ك ف)، تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي – تحقيق د. حسين نصار ، ط. حكومة الكويت ١٩٧٤م، باب الراء- فصل الفاء مع الراء-مادة(ف ك ر)

(٣) يقول الفيومي:"الفِكر بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني ولي في الأمر فكر أي نظر وروية"المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ط.المطبعة الأميرية بالقاهرة-١٩٢٢م ، الخامسة كتاب الفاء- الفاء مع الكاف وما يثلثهما- مادة(ف ك ر)

(٤) الطبري ١٥١/١٢

(٥) المحرر الوجيز ١١٥/٣

إذا جملة (كذلك نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُون) تذييل جامع، أَيْ مِثْلَ هَذَا التَّفْصِيلِ نُفَصِّلُ ونُبَيِّنُ الدَّلَالَاتِ كُلَّهَا الدَّالَّةَ عَلَى عُمُومِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَإِتْقَانِ الصُّنْعِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَيَتَأَمّلُون ويَنْظُرون...وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِالْآيَاتِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ التَّفَكُّرِ وَلَا كَانَ تَفْصِيلُ الْآيَاتِ لِأَجْلِهِمْ.(١)

وبِتصفّح سور القرآن الكريم وخواتيم آيه ستجد غزارة أشباه هذا التركيب؛ إذ يقص ربنا –سبحانه وتعالى– كثيرا من الآيات والعلامات والدلائل والأمثال للمتفكرين كي يعقلوها ويتدبروها وينتفعوا بتفاصيلها، مزاوجا بين بيان الآيات وسوق الأمثال وبين القوم المتفكرين. ولْتراجعْ هذه التذييلات القرآنية مع مطالع آيها –حيثما وردت– لينكشف لك شيء من نظام مساقات التركيب القرآني البديع:

١– ﴿...كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾

٢– ﴿...إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾

٣– ﴿...إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾

٤– ﴿...وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾.(٢)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٤٤/١١بتصرف

(٢) تكرُّرُ خواتيم الآي وورودها على النحو الآتي: ١– البقرة/٢١٩، البقرة/٢٦٦،، ٢–الرعد/٣، الروم/٢١، الزمر/٤٢، الجاثية/١٣،، ٣–النحل/١١، النحل/٦٩،، ٤– الحشر/٢١ وراجع الفعل ومواضعه في الذكر الحكيم في: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الفاء– مادة(ف ك ر)، معجم ألفاظ القرآن الكريم ط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م، باب الفاء– مادة(ف ك ر).

قراءة أبي الدرداء: (كذلك نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُون)

من دلالة الجذر اللغوي (ذ ك ر) يُستنبط أن التذكّر: استحضار صورة الشيء في الذهن أو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات[١] ، وفي ظلال هذا السياق القرآني يمكن القول بأن الحق تعالى يوضّح آياته العظيمة ويمثِّل الأمثال للناس، كي يتذكَر الناسُ حجة الله عليهم ويستحضروا علاماته فيعتبروا، وينزجروا عمّا هم عليه من الضلالة والغي إلى سبل الرشاد، فيَميزوا بين الحياة الدنيا وفنائها وبين الآخرة وما فيها من بعث ونشور.

وبتتبع خواتيم آي القرآن ستجد شبيه هذا النظم المزاوج بين سرد الآيات والحجج في مساق الآية، وبين القوم المتـــــذكرين في فاصلتها ولكن في آية واحدة هي: (...إن في ذلك لآية لقوم يذّكّرون)[٢]، وستجد في آي أخرى بيان الآيات وضرب الأمثال للناس رجاء تذكرهم، وإن قلّت هذه التراكيب عن نظائرها مع المتفكرين، إذ وجدتها في الآيات الأربعة الآتية:

١- ﴿...ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾

٢- ﴿...ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾

٣- ﴿...وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكّرون﴾

٤- ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾.[٣]

---

(١) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ط.مؤسسة الرسالة –فصل الألف (الألف والدال) ص٦٧

(٢) النحل/١٣

(٣) الآي على ترتيبها في المتن: البقرة/٢٢١، إبراهيم/٢٥، النور/١، الزمر/٢٧ راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الذال- مادة(ذ ك ر).

الجمع بين الجذرين والقراءتين:

هذا وتلحظ أن بين الجذرين(ف ك ر- ذ ك ر) اتحادا في عين الكلمة ولامها (الكاف والراء) واختلافا في فائها؛ وذلك لدورانهما في حقل دلالي متقارب، والتقاؤهما أو التناسب معنوي بينهما يكمن في أن التفكر والتذكر مرتبطان بإعمال العقل، فبالعقل يفكر الإنسان ويتأمل ويعقل، وبه أيضا يذّكر أو ينسى، ومرتبطان أيضا بالقلب؛ أي أن تصاقب اللفظين إنما هو لتصاقب المعنيين(١)، وفي هذا الإمساس المعنوي للمفردتين يقول الراغب: "الذكر تارة يُقال ويراد به هيئةٌ للنفس بها يُمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة ويستحضره ...، وتارة يقال لحضور الشيء القلبَ أو القول..."، ويقول أيضا: "الفكرة قوةٌ مطرِقةٌ للعلم إلى المعلوم، والتفكرُ: جولانُ تلك القوةِ بحسبِ نظرِ العقل وذلك للإنسان دون الحيوان ، ولا يُقال إلا فيما يمكنُ أن يَحصُلَ له صورةٌ في القلب"(٢)

وفي نور قراءتي الجمهور وأبي الدرداء:(...لقوم يتفكرون-...لقوم يتذكرون) يمكن الجمع بينهما ببيان أن الحق -سبحانه- يسوق الآيات ويضرب الأمثال ويُشبِّه الأشباه فيستقبل العقل ذلك ويتذكره ويستحضره كمرحلة أولى تعقبها مرحلة أعمق وأعلى وهي مرحلة التفكر والتدبر، وكما بين ربّنا في غير آية في أن التفكر يعقب القصّ والتذكر فقال-عزّ مِن قائل:

---

(١) (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)عنوان باب ذكره ابن جني في خصائصه ١٥٢/٢ وضرب له بأمثلة عديدة من لغتنا الشريفة، وفي ختامه ذكر أن "هذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفَرش اللغة، وإنما بقي من يُثيره ويبحث عن مكنونه، بل منْ إذا أوضح له وكُشفت عنده حقيقته طاع طبعُهُ لها فوعاها وتقبّلها"؛ فاللهم اجعلنا منهم.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق: محمد سيد كيلاني- كتاب الذال وما يتصل بها-مادة(ذ ك ر)، كتاب الفاء وما يتصل بها- مادة(ف ك ر).

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قياما وقعودا وعلى جنوبهم وَيَتَفَكَّرُونَ... ﴾، وقال أيضا: ﴿...فاقْصُصِ الْقَصَصَ لعلهم يَتَفَكَّرُون﴾؛ فالإنسانُ يتذكرُ الشيء أو المثل أو الآيات البينات أولا، فإذا تذكرها تفكّر فيها وتأمل.

وهكذا فإن ما شذّ من القراءتين: (يتذكّرون) يُظاهر ما تواتر منها:(يتفكّرون)؛ لأن اختلاف مادتيهما أفضى إلى تنوع معطياتهما؛ إذ إن القراءة الشاذة عضدت المستفاد من قراءة الجماعة المتواترة وصدّقته؛ فاختلافهما اختلاف تغاير متكامل ومتعانق لا تغاير متضارب أو متعاند.

عزو القراءة:

عُزيت القراءةُ (يتذكّرون) إلى أبي الدرداء وحده، وبالبحث والتفتيش في كتب القراءات والتفسير ومعاني القرآن وإعرابه لم يُورد القراءة-كما سبق بيانه في التوثيق- إلا ابن عطية، ومن بعده أبو حيان .[1]

(١) راجع: المحرر الوجيز ١١٤،١١٥/٣ البحر المحيط ١٤٦/٥، وقد ذكرها -نقلا عنهما- د. الخطيب في معجم القراءات٥٣١/٣

المبحث الثاني: رواية الفاجر

✍- الشاهد القِرائي:

(الأثيم) في قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾ ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]حيث أقرأها أبو الدرداء (طعام الفَاجر).

✍- توثيق القراءة:

عن الثوري عن الأعمشِ عن إبراهيمَ عن همّامِ بنِ الحارثِ عن أبي الدرداء أنه أقرأ رجلا: ﴿إِنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ قال: فقال الرجل: طعام اليتيم، قال: فقال أبو الدرداء: الفاجر.[2]

قال القرطبي: "و﴿الأثيم﴾: الفاجر؛ قاله أبو الدرداء. وكذلك قرأ هو وابن مسعود."[3]

✍- التوجيه:

ما روي من إقراء أبي الدرداء رجلا: (إن شجرة الزقوم طعام الفاجر) يمكن أن يُعدّ من قبيل التقارب المعنوي مع القراءة المتواترة أو قراءة

---

(١) الدخان/٤٣،٤٤

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه. راجع: المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزّاق بنِ همّام الصنعانيّ (ت٢١١هـ) تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي ط. المجلس العلمي، توزيع: المكتب الإسلامي، الثانية ١٩٨٣م، كتاب فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن ونسيانه حديث رقم (٥٩٨٦) ٣٦٤/٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١٩ وراجع: الطبري٥٤/٢١، إعراب النحاس ١٣٤/٤، الكشاف ٤٧٦/٥، الرازي٢٥٢/٢٧، معجم القراءات ٤٣٦/٨، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته-قسم القراءات، جذر أ ث م، جذع أثِمَ، صورة(أثيم) ص٨٠٤

جمهور القراء: ﴿طعام الأثيم﴾؛ حيث يجمعهما معنى؛ فالمقصود بالأثيم هنا أبو جهل، والأثيم-كما قال الزمخشري-: "هو الفاجر الكثير الآثام"(١).

✍- التحليل والمناقشة:

قرأتْ عامة القرَأَة : ﴿طعام الأثيم﴾، ورويت عن أبي الدرداء أنه وابن مسعود أقرآها (طعام الفاجر).

وهذا الاختلاف القِرائي على مستوى مادة الكلمة ينجم عنه جذرين مختلفين هما:(أ ث م)، و(ف ج ر)، وكي ندرك دلالة القراءتين ومدى تناغمهما والسياق القرآني ينبغي الوقوف على دلالة كل جذر منهما ثم مساقهما القرآني وسبب النزول:

أولا: دلالة الجذرين اللغويين:

* أ ث م : "الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد، وهو البطء والتأخر...والإثم مشتق من ذلك، لأن ذا الإثم بطيء عن الخير متأخر عنه."(٢)

* ف ج ر: " الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التفتح في الشيء...ثم كثُر هذا حتى صار الانبعاثُ والتفتّحُ في المعاصي فجورا ولذلك سُمِّيَ الكذبُ فجورا. ثم كثُر هذا حتى سمِّي كلُّ مائل عن الحق فاجرا."(٣)

وفي الكليات: "الإثم: الذنب العمد الذي يستحق العقوبة عليه، ولا يصح أن يوصف به إلا المحرّم ، سواء أريد به العقاب أو ما يستحق به من

(١) الكشاف ٤٧٦/٥

(٢) مقاييس اللغة كتاب الهمزة، باب الهمزة والثاء وما يثلثهما، مادة(أ ث م)

(٣) السابق-كتاب الفاء-باب الفاء والجيم وما يثلثهما-مادة (ف ج ر)

الذنوب.... وهو أيضا عبارة عن الانسلاخ عن صفاء العقل، ومنه سُمي الخمر إثما، لأنها سبب الانسلاخ عن العقل ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ أي في تناولهما إبطاء عن الخيرات و﴿آثم قلبه﴾ أي ممسوخ والآثام: كسَلام: الإثم وجزاؤه ﴿يلق أثاما﴾: أي عقابا، والأثيم: كثير الإثم. والفاجر: يطلق على الكافر والفاسق. (١)

ثانيا: سياق الآية الكريمة: سياق الآيات الكريمة سياق انتقام شديد العقاب ذي الطَّوْل؛ حيث يخبر ربنا -عز وجل -على سبيل الاستئناف- عن حال فريق معذَّبٍ وهم الفجار المشركون، فوصف بعض أصناف عذابهم وهو مأكلهم وإهانتهم وتحريقهم، وقال مؤكدا لما يُكذبون بهم: ﴿إِنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ...﴾.(٢)

ثالثا: سبب النزول:أخرج سعيد بن منصور عن ابن مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد فنزلت الآي: ﴿إِنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾.(٣)

رابعا: طعام الزقّوم بين وصف الأثيم ووصف الفاجر

في هذا السياق المتوعّد يُبين الحق-سبحانه- مأكلَ أبي جهل خصوصا ومأكلَ الكفرة المشكّكِين في يوم الدين عموما وهو ثمار شجرة الزقوم؛ حيث ينبت في أصل الجحيم فيطعمه الكافر الآثم الفاجر وبئس المطعم.

---

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي فصل الألف، مادة(أ ث م)- فصل الفاء مادة(ف ج ر) ص ٤٠، ٦٩٣

(٢) ينظر: نظم الدرر ٤٣/١٨، التحرير والتنوير ٣١٤/٢٥ بتصرف

(٣) لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي ط. مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى ٢٠٠٢م ص٢٣٠

*قراءة الجماعة: ﴿إِنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾

يستنبط من دلالة الجذر اللغوي (أ ث م) ومن صيغته الصرفية، ومن مساق الآي وسبب نزولها أن الأثيم هو كثير الآثام المتعمدُ التمادي في الذنوب والمعاصي، وهو في هذا السياق: "كثرة ركوب الإثم"(١) المؤدي بصاحبه إلى الكفر؛ أو كما قال الطبري: "ذو الإثم، الآثم في الدنيا بربه، وعُني به في هذا الموضع الذي إثمه الكفرُ بربه دون غيره من الآثام"(٢)؛ فدلالة الصيغة هنا(فعيل) تفيد المبالغة في الذنب والاستمرار فيه عن تعمد، فالأثيم: "المبالِغ في اكتساب الآثام حتى مرن عليها فصارت به للكفر"(٣)؛ لذا توعده المنتقم- عز وجل- وعيدا شديدا بأن طعامه الذي سيأكله ويملأ منه بطنه هو ثمار الشجرة الملعونة في القرآن.

وبتتبع أساليب الذكر الحكيم تجده يستعمل كثيرا من مشتقات الإثم، مؤْثِرا في آي كثيرة وفي مساقات مشابهة من الوعيد والتهديد والانتقام- التعبير بصيغة المبالغة (فعيل) وهو(أثيم) عن التعبير بصيغة اسم الفاعل(آثم)، وذلك وصفا لأقبح الذنوب وأبشعها من الكفر والإفك والاعتداء والخيانة، ولْتقرأْ قول الله تعالى:

١- ﴿يمحق الله الربا ويُربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾

٢- ﴿إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾

٣- ﴿ تنزل على كل أفاك أثيم﴾

(١) تاج العروس باب الميم، فصل الهمزة مع الميم ، مادة (أ ث م)
(٢) الطبري ٥٣/٢١
(٣) نظم الدرر ٤٣/١٨

٤- ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾

٥- ﴿مناع للخير معتد أثيم﴾

٦- ﴿وما يكذب به إلا كل معتد أثيم﴾[١]

***إقراء أبي الدرداء:** (إن شجرة الزقوم طعام الفاجر)

من دلالة الجذر اللغوي (ف ج ر)، وفي ظلال هذا السياق القرآني المخيف، وفي ضوء سبب نزوله، يمكن القول بأن أبا جهل يناسبه وصف الفاجر؛ فقد انبعث في المعاصي وطغى في الأرض وتكبر وحارب دين الله واستهزأ به، والفجور كما يقول الزَّبِيدي: "الانبعاث في المعاصي والمحارم وركوب كل أمر قبيح"[٢]، وهذا حال أبي جهل ومن على شاكلته من كل عاص قد توسّع في معاصيه وشقّ ستر دينه ولم ينزجر؛ لذا كان جزاؤه وأشباهه طعاما كالمهل يغلي في البطون.

وبتتبع التراكيب القرآنية ستجد اقتران الفُجْر بالكُفر في غير آية مع تقديم الفُجر على الكفر أحيانا كما في قوله تعالى: ﴿ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾، وتقديم الكفر على الفجر أحيانا كما في قوله تعالى: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾، كما قوبل الفُجر بالتقوى، والفُجّار بالأبرار كما في قول الله: ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾، وفي قوله سبحانه: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن

(١) سور الآي وأرقامها على الترتيب:البقرة/٢٧٦، النساء/ ١٠٧، الشعراء/٢٢٢، الجاثية/٧، القلم/١٢، المطففين/١٢ . وقوبل الإثم بالبِرّ فقال صلى الله عليه وسلم :"البر ما اطمأنت إليه النفسُ والإثمُ ما حاك في صدرك". راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الهمزة- مادة(أ ث م)، المفردات في غريب القرآن كتاب الألف وما يتصل بها- مادة (أ ث م).

(٢) تاج العروس، باب الراء، فصل الفاء مع الراء، مادة(ف ج ر).

الفجار لفي جحيم﴾[١] مما يدل على قباحة وصف الفاجر وشناعة عمله وسوء مصيره.

الجمع بين الجذرين:

يجمع المادتين (أ ث م) – (ف ج ر) وما اشتق منهما(أثيم–فاجر) حقل دلالي واسع هو الميل عن الحق والتأخر عن الخير بتعمد ممارسة الذنوب والمجاهرة بها مما يفضي بالشخص إلى الفسق والكفر؛ فليس الجذران مترادفين ترادفا كليا ولا جزئيا لكن قد يجمعهما معنى، وتُقاربهما دلالة تفسيرية؛ حيث تصلح رواية أبي الدرداء(الفاجر) أن تكون تفسيرا لقراءة الجمهور(الأثيم).[٢]

وبالتعايش مع النصوص القرآنية السابقة وغيرها تلاحظ تجانسا بين الوصفين (الأثيم– الفاجر) وبين صفة الكفر ؛ إذ إن الكافر قد وصف بالأثيم﴿... والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ ، وكذا وُصف الكافر بالفاجر﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾، وفي سياقنا هذا فإن "المشار إليه أبو جهل ثم هي بالمعنى تتناول كل أثيم، وهو كل فاجر يكتسب الإثم"[٣] ، فمعنى(طعام الأثيم) كما قال القرطبي:" ذو الإثم الفاجر، وهو أبو جهل"[٤].

---

(١) راجع سور الآي السابقة وأرقامها على الترتيب: نوح/٢٧، عبس/٤٢، ص/٢٨، الانفطار/١٤ وراجع أيضا: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الفاء– مادة(ف ج ر)

(٢) قال الفراء:" وقوله: ﴿طعام الأثيم﴾ يريد: الفاجر. راجع: معاني القرآن٣/٤٣

(٣) المحرر الوجيز ٥/٧٦

(٤) القرطبي ١٩/١٣٤

وعلاوة على ما سبق فقد تلاحظ علاقة العموم والخصوص بين الوصفين؛ فالإثم أعمّ يشمل كل ذنب تعمده صاحبه سواء أفضى به إلى الفجور والكفر أم لم يُفضِ.

عزو الإقراء:

عزا الطبري والنحاس والزمخشري وابنُ عطية والقرطبي الإقراء بهذا الوصف (الفاجر) إلى أبي الدرداء وحده، بينما عزا ابنُ العربي والرازي والألوسي هذا الإقراء إلى ابن مسعود، كما نقل القرطبي رواية الإقراء أيضا عن ابن مسعود.(١)

رواية (الفاجر) بين القراءة والتفسير:

هذه الرواية من الشواذ التي لا يصح أن يُقرأ بها حيث خالفت رسم المصحف وقد عدها العلماء تفسيرا وليس بقراءة(٢) ؛ ذاك أنه قد تواترت الروايات والأخبار على أن أبا الدرداء –وقيل إنه ابن مسعود– كان يقرئ أعرابيا أو يُلقنه ويعلمه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ فكان الأعرابي يقول:"طعام اليتيم"، فرددها أبو الدرداء عليه وأعاد الصواب، فلم يستقم بها لسان الأعرابي وأعاد الخطأ، فلما أكثر أبو الدرداء عليه رأى

(١) راجع على الترتيب: تفسير الطبري٢١/٥٤، إعراب النحاس ١٣٤/٤، الكشاف ٤٧٦/٥، المحرر الوجيز ٧٦/٥، تفسير القرطبي ١٣٢/١٩-١٣٣، أحكام القرآن الصغرى لأبي بكر بن العربي تحقيق/أحمد فريد طباعة ونشر.دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ٢٠٠٦م ص٤٩١، مفاتيح الغيب ٢٥٢/٢٧، روح المعاني ١٣٢/٢٥

(٢) ينظر: إعراب النحاس ١٣٤/٤، المحرر الوجيز٧٦/٥

أن الأعرابي لايفهم، ولسانه لا يستقيم على الصواب قال له: أمَا تحسن أن تقول: "طعام الفاجر"؟ قال: بلى، قال: فافعلْ.(١)

وأما ما استُدِلّ به من هذا الخبر من جواز إبدال الحرف من القرآن بغيره، أو إبدال كلمة مكان كلمة إذا كانت مؤدية معناها، وما نُسب لأبي حنيفة من تجويز قراءة القرآن بالفارسية شرط أداء المعاني على كمالها فقد أبطله جمهور العلماء، ولا حجة فيه للآتي(٢):

١- أن ذلك إنما كان من أبي الدرداء أو ابن مسعود تقريبا للمتعلّم، وتوطئة له للرجوع إلى الصواب، واستعمال الحق، والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله.

٢- تعقب ذلك القاضي أبو بكر في الانتصار بأن أبا الدرداء أو ابن مسعود أراد أن يُنبّه الأعرابي أنه لا يريد اليتيم بل الفاجر فينبغي على الأعرابي أن يقرأ(الأثيم) ، لكنه لم يستطع فكان كلام أبي الدرداء كالنص في تجويز الإبدال لذلك الأعرابي وحده وأبعد منه عن التأويل.

٣- قال الطحاوي: إنما كان ذلك الإبدال رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ثم

---

(١) راجع: المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزّاق، كتاب فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن ونسيانه حديث رقم (٥٩٨٦) ٣٦٤/٣، الطبري ٥٣،٥٤/٢١، الكشاف ٤٧٦/٥، المحرر الوجيز ٧٦/٥، أحكام القرآن الصغرى لأبي بكر بن العربي ص٤٩١، القرطبي ١٣٢/١٩، روح المعاني ١٣٢/٢٥

(٢) ينظر ما أوردته من أسانيد وبراهين في: الكشاف ٤٧٦/٥، القرطبي ١٣٢/١٩، ١٣٣، روح المعاني ١٣٢/٢٥

نُسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ، وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون.

٤- تجويز قراءة القرآن بالفارسية مردود بأن في كلام العرب -خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه- من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقلُّ بأدائه لسان من فارسية وغيرها.

٥- متى لم يجز إبدال كلمة مكان كلمة مؤدية معناها مع الاتحاد عربية؛ فعدم جواز ذلك مع الاختلاف عربية وفارسية مثلا أظهر.

٦- ما روي عن الإمام أبي حنيفة من أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية قد صح عنه خلافه، وما كان أبو حنيفة -رحمه الله- يُحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثلَ قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

الخاتمة

الحمد لله على المبتدا والمنتهى، والصلاة والسلام على خير الورى، **وبعد**

أما وإذْ حطَّ سفينُ رحلتي وطُوِيَ شراعه؛ فلابد من سرد أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والمتمثلة فيما يلي:

أولا : بلغت كل مروياتُ آل الدرداء في القراءات القرآنية إحدى وعشرين مرويةً، رَوى أبو الدرداء منها أربع مرويات متواترة، وثلاث عشرة رواية شاذة، وروت عنه زوجته أم الدرداء الصغرى رواية متواترة وأخرى شاذة، واشتركت معه في رواية شاذة، وانفردت عنه برواية شاذة أيضا.

ثانيا: ثلاث مرويات شواذ مما نُسبت لآل الدرداء قد انتسبت للنبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة هي: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّات أَعْيُن)، (ونادوا يَا مَالِ ليقْضِ عَلَينا رَبّك)، (والذّكَرِ والْأنْثى)[1] وهذا مما يؤكد أن القراءات الشاذة مصدر مهم في دراسة اللغة، ومرآة صادقة لقواعد اللغة ولهجاتها إبان عصر النبوة المبارك؛ إلا أنه لا يجوز لغير من سمع هذه المرويات من النبي (صل الله عليه وسلم) القراءة بها؛ لأنها غير متواترة النقل فلا يُترك المتواتر للآحاد.

(١) الآي على الترتيب السجدة/١٧، الزخرف/٧٧، الليل/٣

ثالثا: انفرد أبو الدرداء وحده–دون سائر الصحابة والقراء– بروايتين شاذتين هما: (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَذَكّرُون)، (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول)، وتفرد هو وزوجه بثالثة شاذة هي: (حَتّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِيّ)[1]، واشترك مع صحابة وقراء آخرين في بقية الروايات.

رابعا: كان لابن عامر النصيب الأوفر–من بين أئمة القراءات العشر– في الاشتراك مع آل الدرداء في ستّ مرويات، ولا غرْو فابن عامر قد قرأ على أبي الدرداء عرضا، وكان ابن عامر عريفا على عشرة من القرأة في مسجد دمشق.

خامسا: بعض أسانيد مرويات آل الدرداء فيها من الصحابة أمثال علي بن أبي طالب وعبدِ الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي هريرة وسعبد بن جبير وابن عمر وغيرهم.

سادسا: بإمعان النظر وطول تأمل السياق القرآني تبينَ تكاملُ جلِّ المرويات الشاذة والمرويات المتواترة إبرازا للمعنى، أو تفسيرا له، أو كشفا لبعض جوانبه، أو تجلية لغوامضه دون تناقض أو تضاد، وهذا ردّ على من يُفضل مروية على أخرى، أو يخطئ قراءة عشرية أو شاذة، أو يقلل من شأنها كما رأينا في غير مروية من مرويات آل الدرداء؛ إذ إن القراءة سنةٌ متبعة يأخذها الآخِر عن الأول، والقراء إنما يقرأون بما يرْوُوْن لا بما يَرَوْن.

---

(١) الآي على ترتيبها: يونس/٢٤، الفيل/٥، يونس/٢٢

سابعا: مختصرُ ابنِ خالويه من أغنى المصادر في رواية شواذ القراءات، ومحتسبُ ابن جني من أغنى المصادر المعنية بدرايتها وتوجيهها، وإن لم تخلُ بعض عبارات الأول من تصحيف كشف البحث عن بعضه؛ مما يحتاج معه المختصر إلى تحقيق علمي سديد.

ثامنا: تكشّف بالمرويات صحة لغات عدة من لغات العرب؛ بل إن جل المرويات عن آل الدرداء لم يعدمْ مسوّغا أو وجها تقوى به مروياته، من نسبة إلى لهجة، أو من تحليل صوتي أو صرفي أو نحوي.

تاسعا: برواية آل الدرداء لما تواتر وما شذّ من الأوجه قد حافظوا لنا على قدر كبير من الظواهر اللغوية التي جازت قراءة القرآن بها، والداخلة في عموم الأحرف السبعة، رغم أنها عدت خروجا على القواعد التي وضعها النحاة.

عاشرا : رفض المرويات الشاذة، وعدم قبولنا لها كقراءة رواية وسندا لا يمنعنا البتة من دراستها كشاهد على ظواهر اللغة وقواعدها في مستوياتها المتعددة.

حادي عشر: آل الدرداء المكون من أبي الدرداء وزوجتيه وولديه أسرة قرآنية فريدة تفانوا في خدمة القرآن والدين فرفعهم الله مكانا عليا، وخلّد ذكرهم بعد رحيلهم، وما هذا البحث إلا نقطة من فيض سيرتهم العطرة، وعلى آثارهم ينبغي أن نسير وعائلاتنا.

وأخيرا يوصي البحث بالسعي إلى تكثيف الجهود في تحقيق التراث الإسلامي مما تعلق بالقراءات الشاذة، وجمعه من كتب التفاسير توجيها وبيانا لأثره في المعنى؛ إذ إنه يجسد أهم أطوار العربية وهو الطور الذي صدرت عنه هذه اللغة في حياتها إلى الآن، لكنه لم يحظ بسهم وافر في الدرس والبحث.

كما يوصي بإفراد مصنفات تضم قراء الشواذ من الصحابة الكرام ومروياتهم حتى يسهل تتبع أسانيدها، ومنه الحكم بصحتها أو بضعفها، وإعادة تحقيق بعض هذه المصنفات التي حوت شواذ القراءات.

كتبه

أحمد عبد الموجود معوض

الفهارس

أولا: فهرس مرويات آل الدرداء مرتبة ترتيبا مصحفيا

م	الرواية	راويها	موضعها القرآني	سندها	صفحة
١	مَلِكِ يَومِ الدّين	أبو الدرداء وابن كثير ونافع وابن عامر وغيرهم	الفاتحة/٤	متواترة	١٧
٢	الّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِم ...ما قُتِّلوا	أبو الدرداء وابن عامر وغيرهما	آل عمران /١٦٨	متواترة	٥٩
٣	فَإِنْ كَذّبُوكَ ... وَبِالزّبرِ وَبِالكِتابِ المُنير	أم الدرداء عن أبي الدرداء وابن عامر وهشام وغيرهم	آل عمران/١٨٤	متواترة	٧٩
٤	منْ بعْدِ وَصِيّةٍ يُوصِّي..	الحسن وأبو الدرداء وأبو رجاء	النساء/١٢	شاذة	٥٩
٥	اتّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِليكُمْ .....قَلِيلاً مَا تَتَذَكّرون	أبو الدرداء وابن عباس وابن عامر	الأعراف/٣	شاذة	٦٩
٦	واذكُرْ رَبّكَ في نفسك...بالغُدُوّ والإيصَالِ	أبو مِجْلَز وأبو الدرداء	الأعراف/٢٠٥	شاذة	٣٢
٧	ما كان للنّبِيّ أن يكُون له أسْرَى	أبو الدرداء وأبو حيوة	الأنفال/٦٧	شاذة	٢٢
٨	حتّى إذا كُنتمْ فِي الْفُلْكِيّ	أم الدرداء وأبو الدرداء فقط	يونس/٢٢	شاذة	٢٨
٩	كذلكَ نُفَصّل الآيَاتِ لقوم يَتَذَكّرون	أبو الدرداء فقط	يونس/٢٤	شاذة	١٠٨
١٠	كتابٌ أنْزَلْنَاه..لِيَخرُجَ الناسُ	أبو الدرداء وابن عامر وغيرهما	إبراهيم/١	شاذة	٤٦

م	الرواية	راويها	موضعها القرآني	سندها	صفحة
١١	أكاد أَخفيها	سعيد بن جبير وأبو الدرداء وغيرهما	طه/١٥	شاذة	٤٦
١٢	سورةً أنزلناها	أم الدرداء وعيسى بن عمر وآخرون	النور/١	شاذة	٨٨
١٣	أن نُتَّخَذَ من دونك	أبو الدرداء وأبو جعفر آخرون	الفرقان/١٨	متواترة	٧٣
١٤	وَالَّذِين يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قرّات أعين	أبو هريرة وأبو الدرداء وآخرون	الفرقان/٧٤	شاذة	٣٩
١٥	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّات أَعْيُن	النبي (صل الله عليه وسلم) وأبو هريرة وأبو الدرداء وآخرون	السجدة/١٧	شاذة	٣٩
١٦	ونادوا يا مالِ ليقض علينا ربك	النبي (صل الله عليه وسلم)، وأم الدرداء عن أبي الدرداء وعلي وغيرهم	الزخرف/٧٧	شاذة	٩٥
١٧	إن شجرة الزقوم طعام الفاجر	ابن مسعود وأبو الدرداء	الدخان/٤٤	شاذة	١١٤
١٨	ما كذّب الفؤاد ما رأى	أبو الدرداء وأبو جعفر وابن عامر وغيرهم	النجم/١١	متواترة	٥٩
١٩	عندها جنَّهُ المأوى	أبو هريرة وأبو الدرداء وغيرهما	النجم/١٥	شاذة	٤٦
٢٠	والذكرِ والأنثى	النبي (صل الله عليه وسلم) وأبو الدرداء وابن مسعود وغيرهم	الليل/٣	شاذة	١٠١
٢١	فجعلهم كعصف مأكول	أبو الدرداء فقط	الفيل/٥	شاذة	٩

ثانيا: ثبت بأهم المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

- الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب تحقيق د.عبد الفتاح شلبي ط.دار نهضة مصر بالقاهرة.
- أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية د.علي عبد الله القرني رسالة ماجستير مخطوط في كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى ٢٠٠٤م.
- أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف -جامعة أم القرى إعداد/أحمد محمد الغامدي إشراف أ.د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ١٩٨٩م.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي د.عبد الصبور شاهين ط. مكتبة الخانجي، الأولى ١٩٨٧م.
- أحكام القرآن الصغرى لأبي بكر بن العربي تحقيق/أحمد فريد طباعة ونشر.دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ٢٠٠٦م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان د.ت
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق: علي محمد البجاوي ط.دار الجيل بيروت، الأولى ١٩٩٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير دون طبعة ودون تاريخ.

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ط. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الأولى د.ت
- الأصوات اللغوية د.إبراهيم أنيس مطبعة نهضة مصر د.ت
- الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي تحقيق د. عزة حسن، ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الثانية ١٩٩٦م.
- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه تحقيق د.عبد الرحمن العثيمين نشر: الخانجي بالقاهرة ، الأولى ١٩٩٢م.
- إعراب القراءات الشواذ للعكبري ط.عالم الكتب، الأولى ١٩٩٦م.
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس تحقيق د.زهير زاهد ط.عالم الكتب،الثالثة ١٩٨٨م.
- الأعلام تأليف: خير الدين الزركلي ط.دار العلم للملايين بيروت–لبنان، الخامسة عشرة مايو٢٠٠٢م.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف لابن مأكولا، ط. دار الكتاب الإسلامي د.ت
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ط. دار إحياء التراث العربي بيروت، الأولى د.ت
- البحر المحيط تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى ١٩٩٣م.

- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري تحقيق د.طه عبد الحميد طه ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي – تحقيق د. حسين نصار ، ط. حكومة الكويت ١٩٧٤م.
- تاريخ أبي زُرعة الدمشقي للإمام الحافظ عبد الرحمن النصري، وضع حواشيه: خليل المنصور ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى د.ت
- تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ط.نهضة مصر، الثالثة ٢٠٠٧م.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق: محب الدين عمر العَمروي ط. دار الفكر، الأولى ١٩٩٨م.
- التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب تحقيق د. محمد غوث الندوى، نشر: الدار السلفية بالهند، الثانية ١٩٨٢م.
- التحرير والتنوير لابن عاشور ط.الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.
- التذكرة في القراءات الثمان لابن غَلبون تحقيق د/أيمن رشدي الأولى ١٩٩١م.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د.أحمد سعد محمد، نشر: مكتبة الآداب، الثانية ٢٠٠٠م.
- التيسير في القراءات السبع للداني نشر دار الكتاب العربي، الثانية ١٩٨٤م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري تحقيق د.عبد الله التركي ط.دار هجر بالجيزة، الأولى ٢٠٠١م.

- جامع البيان للداني تحقيق: محمد صدوق الجزائري، نشر:دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الأولى ٢٠٠٥م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق د.عبدالله التركي ط. مؤسسة الرسالة، الأولى ٢٠٠٦م.
- جزء فيه قراءات النبي (صل الله عليه وسلم) لأبي عمر حفص بن عمر الدوري تحقيق د. حكمت بشير ياسين، ط. مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى –١٩٨٨م
- جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد للإمام برهان الدين الجَعْبري تحقيق: د. محمد إلياس نشر:برنامج الكراسي البحثية بجامعة طيبة بالمملكة العربية السعودية، الأولى ٢٠١٧م.
- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات د.عبدالبديع النيرباني ط.دار الغوثاني، دمشق الأولى–٢٠٠٦م.
- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ط. دار صادر–بيروت د.ت
- حجة القراءات للإمام أبي زرعة بن زنجلة تحقيق:سعيد الأفغاني ط. مؤسسة الرسالة–بيروت، الخامسة١٩٩٧م.
- الحجة لأبي علي الفارسي تحقيق: بدر الدين قهوجي وغيره، دار المأمون للتراث– الأولى ١٩٨٧م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ط. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان د.ت

- الخصائص لابن جني ط. المكتبة العلمية، تحقيق: محمد علي النجار، د.ت
- الدر المصون للسمين الحلبي تحقيق د.أحمد الخرّاط ط. دار القلم، دمشق د. ت
- دراسات في علم اللغة د.كمال بشر ط.دار غريب، القاهرة ١٩٩٨م.
- روح المعاني للألوسي ط.دار إحياء التراث العربي بيروت–لبنان.
- السبعة لابن مجاهد تحقيق د.شوقي ضيف ط.دار المعارف، د.ت
- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي تحقيق: شعيب الأرنؤوط ط. مؤسسة الرسالة، الثانية ١٩٨٢م.
- الشامل في القراءات المتواترة د.محمد حبش ط. دار الكلم الطيب دمشق–بيروت الأولى–٢٠٠١م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد تحقيق: محمود الأرناؤوط ط.دار ابن كثير دمشق–بيروت، الأولى ١٩٨٦م.
- شرح الهداية للمهدوي تحقيق د. حازم حيدر، ط. مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـ.
- شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد للإمام الشاطبي في علم الرسم، تأليف أبي البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصح، راجعه وعلق عليه الشيخ/عبد الفتاح القاضي، ط.مصطفى البابي الحلبي.
- شواذ القراءات للكرماني تحقيق د.شمران العجلي ط.مؤسسة البلاغ، بيروت د.ت

- صفة جزيرة العرب للهمْداني تحقيق:محمد الحوالي ط.مكتبة الإرشاد بصنعاء، الأولى ١٩٩٠م.
- الطبقات الكبير لمحمد بن سعد تحقيق: د.علي محمد عمر نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ٢٠٠١م.
- العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان د.ت
- علم الأصوات د.كمال بشر ط. دار غريب–القاهرة ٢٠٠٠م.
- علم اللغة العربية د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات بالكويت، توزيع دار العلم للملايين د.ت
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العلامة بدر الدين محمود العيني ط.دار الفكر د.ت
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ط.دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الأولى، ٢٠٠٦م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط.المكتبة السلفية د.ت.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق:محمد إبراهيم سليم ط. دار العلم والثقافة د.ت
- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق أ/أحمد عبد الواحد الخيّاطي ط.فُضالة بالمغرب، ١٩٩٥م.
- في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ط. الأنجلو– الثامنة ١٩٩٢م.

- القاموس المحيط للفيروز ابادي ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
- القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية د.حمدي سلطان العدوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، الأولى٢٠٠٦م.
- القراءات الشاذة في النصف الثاني من القرآن الكريم-دراسة نحوية إعداد: تغريد عبد الرازق محمود-ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة-كلية الآداب ٢٠١٢م
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضي نشر دار الكتاب العربي ١٩٨١م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د.عبد الصبور شاهين نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت
- القراءات الواردة في السنة د. أحمد عيسى المعصراوي ط. دار السلام ، الثانية ٢٠٠٨م.
- قراة يحيى بن وثّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي د.أحمد طه سلطان ط.مكتبة وهبة، الأولى ٢٠٠٤.
- الكافي في القراءات السبع تحقيق أحمد محمود الشافعي نشر: دار الكتب العلمية، الأولى ٢٠٠٠م.
- كِتاب المصاحف للسجستاني ط. دار الكتب العلمية- الأولى ١٩٨٥م.
- الكتاب تحقيق أ.عبد السلام هارون ط. عالم الكتب، الثالثة-١٩٨٣م.

- الكشاف للزمخشريُّ تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ط.مكتبة العبيكان الأولى-١٩٩٨م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ط.مؤسسة الرسالة، د.ت
- لسان العرب لابن منظور، ط. دار المعارف، د.ت
- لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي ط. مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى ٢٠٠٢م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ط.دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م.
- اللهجات العربية نشأة وتطورا د.عبد الغفار هلال ط.وهبة، الثانية ١٩٩٣م.
- المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني تحقيق/سبيع حمزة حاكمي،١٩٨٠م.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ،تعليق:د. محمد فؤاد سَزْكين، نشر: الخانجي بمصر، د.ت
- المحتسب ط. المجلس الأعلى تحقيق علي النجدي، عبد الفتاح شلبي ١٩٩٤م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى ٢٠٠١م.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ط. مكتبة المتنبي– القاهرة، د.ت
- المروي عن النساء من القراءات القرآنية د.عبد العزيز ياسين عبد الله، مجلة آداب الرافدين، العدد(٥٩).
- مشاهير علماء الأمصار لابن حَبّان البُستي، وضع حواشيه وعلق عليه: مجدي ابن منصور بن سيد الشورى ط.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى ١٩٩٥م.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب تحقيق: حاتم الضامن، ط. دار البشائر بدمشق، الأولى٢٠٠٣م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ط.المطبعة الأميرية بالقاهرة– ١٩٢٢م.
- المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزّاق بنِ همّام الصنعانيّ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ط. المجلس العلمي، توزيع: المكتب الإسلامي، الثانية ١٩٨٣م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ط.عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٩٨٨م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم وضعه: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٩هـ،١٩٨٩م.

- معجم القراءات د.عبد اللطيف الخطيب ط.دار سعد الدين بدمشق، الأولى ٢٠٠٢م.
- المعجم المفهرَس لألفاظ القرآن الكريم وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي ط.دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦٤هـ.
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته د. أحمد مختار عمر، ط. مؤسسة سطور ، الأولى ٢٠٠٢م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق د.طيار آلتي قولاج، استانبول.
- مفاتيح الغيب للرازي ط. دار الفكر بلبنان، الأولى ١٩٨١م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق: محمد سيد كيلاني ، د.ط، د.ت
- مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، ط. دار الفكر ١٩٧٩م.
- مقدمة في علم أصوات العربية د. عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي، الثالثة ٢٠٠٤م نشر المؤلف.
- المنصف لابن جني، تحقيق أ.إبراهيم مصطفى،أ.عبد الله أمين الأولى ١٩٥٤م.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم تحقيق د.عمر الكبيسي، الأولى ١٩٩٣م.

- النشر في القراءات العشر لابن الجزري نشر:دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٩٩٨م.
- نظم الدرر للبقاعي ط. دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة د.ت
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي تحقيق: إبراهيم الإبياري ط.دار الكتاب اللبناني ببيروت، الثانية ١٩٨٠م.
- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع للشيخ عبد الفتاح القاضي ط. مكتبة السوادي بجدة، الرابعة ١٩٩٢م.
- الوسيلة إلى كشف العقيلة للشيخ علم الدين السخاوي تحقيق: د. مولاي محمد الطاهري ط. مكتبة الرشد ناشرون بالسعودية، الثانية ٢٠٠٣م.

ثالثا: فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	المقدمة	٤١٢٥
٢-	التمهيد	٤١٣٠
٣-	المحور الأول: الدراسة الصوتية لمرويات آل الدرداء	٤١٣٤
٤-	ما روي من الصامت الحلقي محركا	٤١٣٤
٥-	المحور الثاني: الدراسة الصرفية لمرويات آل الدرداء	٤١٤٣
٦-	المبحث الأول: صيغ الأسماء	٤١٤٣
٧-	أولا: ما روي على صيغة المبالغة	٤١٤٣
٨-	ثانيا: ما روي معرّفا	٤١٤٩
٩-	ثالثا: ما روي منسوبا	٤١٥٦
١٠-	رابعا: ما روي على صيغة المصدر	٤١٦٠
١١-	خامسا: ما روي مجموعا	٤١٦٨
١٢-	المبحث الثاني: صيغ الأفعال	٤١٧٧
١٣-	أولا: ما روي على صيغة (فَعَل)	٤١٧٧
١٤-	ثانيا: ما روي على صيغة (فعَّل)	٤١٩٣
١٥-	ثالثا: ما روي على صيغة (تفعّل)	٤٢٠٧

م	الموضوع	الصفحة
١٦-	رابعا: ما روي مبنيا للمفعول	٤٢١٢
١٧-	المحور الثالث: الدراسة النحوية لمرويات آل الدرداء	٤٢١٨
١٨-	المبحث الأول: ما رُوي فيه زيادة	٤٢١٨
١٩-	المبحث الثاني: ما روي منصوبا	٤٢٢٩
٢٠-	المبحث الثالث: ما روي مرَخّما	٤٢٣٧
٢١-	المبحث الرابع: ما روي فيه حذف	٤٢٤٦
٢٢-	المحور الرابع: الدراسة المعجمية لمرويات آل الدرداء	٤٢٥٥
٢٣-	المبحث الأول: رواية يتذكرون	٤٢٥٥
٢٤-	المبحث الثاني: رواية الفاجر	٤٢٦٣
٢٥-	الخاتمة	٤٢٧٢
٢٦-	الفهارس	٤٢٧٦
٢٧-	أولا: فهرس مرويات آل الدرداء مرتبة ترتيبا مصحفيا	٤٢٧٦
٢٨-	ثانيا: ثبْت بأهم المصادر والمراجع	٤٢٧٩
٢٩-	ثالثا: فهرس الموضوعات	٤٢٩٠